مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

الموقف من أتباع الفِرَق الإسلامية: دراسة في ضوء المتغيرات

حسن محمد الأسمري
أستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد

ملخص البحث: يهدف ويقدم البحث رؤية حول الموقف من أتباع الفرق والمذاهب، مستقاة من منهج أهل السنة والجماعة، وتراعي المتغيرات المعاصرة التي تحيط بالمسلمين، فما من فرقة أو مذهب إلا وله ثلاثة مكونات أساسية: المنظومة العقدية والفكرية، الأئمة، الأتباع؛ وهذا البحث يركز على الأئمة والأتباع، ويخرج بثلاثة مواقف مع الأئمة: التحذير والرد والمناظرة؛ وثلاثة أخرى مع الأتباع: الإحسان والتزكية والنصيحة والتنبيه؛ مع الإشارة لما يلزم من المعايير المنهجية والقيم الأخلاقية؛ وقد استعنت لتحقيق ذلك بمنهجيتي الوصف والتحليل؛ وخرجت بنتائج تراعي حال أمة مليارية تحيط بها التحديات بحيث تحقق هذه النتائج الإصلاح مع حفظ بيضة المسلمين.

كلمات مفتاحية: الموقف، الفرق العقدية، الأئمة والأتباع، المخالفة، المتغيرات.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

حسن محمد الأسمري

المقدمة

الحمدُ لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وعلى آلِه وصحبه، ومَن تبعَهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فمِن بين الموضوعات المهمة التي ترتبط بالفِرق الإسلامية وما شابهها، موضوع موقف أهل السُّنة من أتباع هذه الفرق، وليس المقصودُ هنا الحديثَ عن أحكام ما وقَعوا فيه، وإنما طريقة التعامل معهم بحسب حالهم.

كما أنَّ الموضوع هنا مخصصٌ بواقع المسلمين اليوم، حيث يوجد منهم أكثر من مليار ونصف مسلم، كلهم من أمَّة محمد صلّى الله عليه وسلم، ومن أهل القِبلة، تجمعهم شعائر الإسلام الظاهرة وعقائده الباطنة، مع ما يقع من التقصير أو الانحراف من بعضهم؛ وهم يعيشون في واقع يختلف عن تاريخنا المجيد، فهو واقع تقوده الأمم العلمانية في القوة المادية والعلمية التجريبية، ويسهل على المسلم الانتقال من مكان لمكان، فيحتكّ بأصناف الأديان والعقائد والشبهات والأهواء، بل هناك ملايين المسلمين يعيشون في بلدان غير إسلامية يُنَاقش فيها كلَّ الموضوعات دون حدود؛ كما أنَّ ظاهرة العولمة بكلِّ أبعادها، وبخاصة الثقافية والفكرية والإعلامية والاتصالية، تضع المسلمين أمام تحدياتٍ كبيرة، فلم يعُد الأمر بحاجة للسفر أو البحث عن أشخاص ومجالستهم، بل كلّ شيء ينبثق على شاشة بلمسة أصبع؛ فالنظر للموقف من أتباع الفِرق وما شابهها في هذا الواقع المعقَّد بحاجة للبحث والدراسة، وهذه محاولة متواضعة في هذا الجانب **بعنوان: الموقف من أتباع الفرق الإسلامية: دراسة في ضوء المتغيرات.**

وهذا الموضوع، وإنْ كان مخصَّصًا لأتباع الفِرق، فإنه يدخل فيه مَن وقع في مخالفة للكتاب والسُّنة، وتَشكَّلَ على أثر هذه المخالفة مدرسة أو اتجاهٌ أو تيارٌ، كما هو حال أصحاب المذاهب الفكرية المعاصرة ذات الانحرافات البيّنة(١).

لا تتناول الدراسة هنا مسألة "الأسماء والأحكام"، وهي مسألة عظيمة، وقد كتب فيها العلماء والباحثون؛ لبيان الفرق بين الإيمان والكفر، ومَن يُحكَم عليه بالكفر والبدعة والفسق، وأحكامهم في الدنيا والآخرة(٢)، وإنما تتناول موقفنا العملي معهم، ماذا نعمل مع أتباع الفِرق ومَن شابهم؟

---

(١) إذا كانت الفرق الإسلامية معروفة في تراثنا، فإن المذاهب الفكرية اشتهرت في القرن الرابع عشر الهجري بعد الاحتكاك بالحضارة الغربية؛ تنشأ الفرقة من شُبْهة حول موضوع عقدي جاء في الوحي، بينما المذهب الفكري ينشأ من تفكير العقل في قضية ذات إشكالية؛ ومثال ذلك: حرية الإنسان، هل هي مستقلة أو غير مستقلة! فهي موضوع جاء ذكره في الوحي في باب القدر، وينشأ من الخلاف فيه الفرق الدينية: مثل القدرية والجبرية؛ بينما المذاهب الفكرية قد كان منشؤها من استقلال العقل عن الوحي في بحثه في هذه الموضوعات، فنشأ من ذلك مذهبان فكريان هما: الجبرية والحتمية. وينظر حول موقف الفرقتين: القدرية والجبرية، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبدالرحمن المحمود، الباب الثالث؛ وحول موقف المذهبين الفكريين: الحتمي واللاحتمي، ينظر في فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، د. يمنى الخولي، الفصل الثالث.

(٢) من المراجع في ذلك مثلًا: قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد السفياني؛ ضوابط التكفير، د. عبدالله القرني؛ نواقض الإيمان الاعتقادية

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

مشكلة البحث:

يتعلق البحث بموضوع العلاقة بين المسلمين، والحديث عن باب خاصٍّ منها: وهو العلاقة بمَن وقع في مخالَفة الكتاب والسُّنة من أتباع الفِرق الإسلامية ومَن شابههم، فإننا نجد دراسات كثيرة حول التعريف بالفِرَق وبدعها، وأحكام هذه البدع ومناقشتها، ولكن هناك نقصًا ملحوظًا في بيان التعامل مع قادة الفرق والأتباع؛ وظهرت الحاجة أكبر لمثل هذا الأمر في زمننا، حيث كل فرقة تملك وسائل متنوعة للتعبير عن آرائها، وأصبح التواصل مع هذه الفرق أوسع مع تطور الاتصالات والمواصلات، فينشأ عن ذلك سؤال مهم: كيف تكون العلاقة بأتباع هذه الفرق؟ وما المواقف العلمية والعملية المناسبة للقادة والأتباع؟

أهداف البحث:

يقوم البحث على مجموعة أهداف، وهي:

١- بيان الفرْق بين حال الفِرق الإسلامية اليوم ومَن شابههم وبين حالهم التاريخي.

٢- بيان الفرْق بين قيادات الفِرق وبين الأتباع.

٣- تحديد المواقف المقترَحة من القيادات لهذه الفرق.

٤- تحديد المواقف المقترَحة من الأتباع في هذه الفرق.

حدود الدراسة:

يركز البحث على واقع أتباع الفِرق في زمننا هذا والذي يُطلق عليه زمن العولمة، فهو يركز على المرحلة التي تبتدئ مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري، وبخاصة مع التطورات التي شهدتْها تقنيات الإعلام والاتصال والمعلوماتية، والتي كانت ثوراتها الكبيرة في السنوات الثلاثين الأخيرة، كما أنه يرتبط بكلِّ المسلمين الذين يشكّلون خُمس العالم تقريبًا، بما يفوق المليار والنصف مسلم يعيشون على الكرة الأرضية اليوم.

منهجية البحث:

يعتمد منهج الدراسة على المنهجين: الوصفي والتحليلي، وذلك بمحاولة وصْف واقع المنتسبين للفِرق الإسلامية اليوم ومَن شابههم، ووصْف الواقع المحيط بها، وتحليل عناصر الموقف مع تنسيق منهجي لعناصر المواقف المقترحة من أتباع هذه الفِرق.

وضوابط التكفير، د. محمد الوهيبي، وغيرها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

وقد سرتُ في إجراءات البحث على الطرق المعتادة في البحوث العلمية، من عزو الآيات الواردة لسُوَرها وأرقامها؛ وكذلك عزو الأحاديث لمصادرها بذِكر الكتاب ورقم الحديث، وذِكر الحكم عليه من أحد المحققين القدامى أو المعاصرين إنْ كان في غير الصحيحين؛ وأكتفي في التعريف بالشخصيات أو المصطلحات أو المسميات بما ليس بمشهور منها؛ وقمتُ بالتوثيق والإحالة وفق الأعراف العلمية؛ وختمتُ ذلك بذِكر مراجع البحث.

الدراسات السابقة:

يأتي هذا الموضوع في أبواب مختلفة من الفقه، كما أنَّ كُتب العقائد تتناوله وبخاصة في مقدماتِ كُتب الفِرق، وكذلك في أثناء شرح حديث الافتراق المشهور، ولكن لم يتيسَّر لي الوقوف على دراسة مستقلة في هذا الباب، وبخاصة فيما يتعلق بزمن المسلمين المعاصر، باستثناء كتاب الدكتور/ إبراهيم عامر الرحيلي "موقف أهل السُّنة والجماعة من أهل الأهواء والبِدَع"، وقد جاء في أربعة أبواب، وتحدَّث عن اثنين وعشرين موضوعًا، وهي: تكفير أهل البدع، وتفسيقهم، ولَعْنهم، والدعاء عليهم، وقبول أعمالهم عند الله، وحُكم قبول توبتهم، والصلاة خلفهم، ومناكحتهم، وأكْل ذبائحهم، وعيادة مرضاهم، وشهود جنائزهم، وحُكم موارثتهم، والموقف من بُغضهم، وغيبتهم، والسلام عليهم، ومجالستهم، وإهانتهم، ومجادلتهم ومناظرتهم، وعقوبتهم، ومن قبول شهادتهم، وروايتهم، وتلقّي العلم عنهم، ومشاركتهم في الجهاد.

وهو بحثٌ مشترَك في مسائله بين العقيدة والفقه، فإنَّ الفقهاء يتعاملون مع موضوعات عملية ويبيّنون أحكام الشريعة فيها، وكيف تنزل على أنواع الناس بحسب العمر والجنس والديانة، فإذا جاء باب الإمامة في الصلاة ناقَشوا حُكم تقديم المبتدع للإمامة، وإذا جاء باب النكاح تحدَّثوا عن حُكم الزواج من أصحاب البدع، وهكذا، ولاشكَّ أنَّ هذه الموضوعات ذات أصل عقديٍّ، وقد ناقش المؤلف هذه الموضوعات المختلفة، ولكن هناك مداخل متنوعة لهذا الباب المهم، كما أنَّ زوايا النظر تُعيد ترتيب المسائل، ولهذا جاء هذا البحث لمناقشة قضية الموقف لواقع مُحدَّد، وهو واقع المسلمين اليوم، في هذا الظرف التاريخي، المتَّسم بسماتٍ ينبغي مراعاتُها عند الحديث عن الموقف، وأهم هذه السمات: ظاهرة العولمة الكبيرة، وأثرها في صناعة واقع مختلف للمسلمين ينبغي مراعاتها في إنشاء المواقف، فعامة المسلمين اليوم يعيشون في بيئات ذات مناهج مبتدعة أو بيئات فيها طوائف وفرق ومذاهب مختلفة، وهم بحاجة لمن يقف معهم ويسهم في دعوتهم وبيان الحقِّ لهم واستنقاذهم ممّا يحيط بهم من الشبهاتِ والأهواء؛ فكيف تؤثر هذه الزاوية من النظر في إعادة ترتيب المواقف بما يحقق نتائج جيدة لواقع المسلمين اليوم؟ فكان بحثي المتواضع هو محاولة إكمال المسير في هذا الجانب.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

خطة البحث:

جاءت خُطة البحث في مقدمة ومدخَل ومبحثيْن وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وتشمل: أهداف البحث، ومشكلته، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة فيه، والخطة.

مدخل: مفهوم الفرقة واختلاف أحوال أتباع الفِرق.

المبحث الأول: الموقف من الأئمة والرموز.

المطلب الأول: المواقف من الأئمة والقادة: (التحذير والرد والمناظرة).

المطلب الثاني: نموذج تراثيّ من المناظرات.

المطلب الثالث: مسائل منهجية في الموقف من الإمام أو القائد والرمز.

المبحث الثاني: الموقف من عامة الناس من أتباع الفِرق.

المطلب الأول: سماتُ الأتباع بين خاصية الخيرية ومأزق الجهل.

المطلب الثاني: المواقف من الأتباع: (الإحسان، والتزكية، والنصيحة والتنبيه).

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

المراجع.

أخيرًا، فقد اجتهدتُ قدْرَ وسعي وطاقتي في كتابته، ولا أدعي أني أوفيتُ الموضوع حقه، ولا السلامة من النقص والخطأ، وحسبي أنني حاولتُ الإسهام في هذا المجال المهم، فما كان مِن صواب فمِن فضل الله وكرمِه، وما كان من نقص أو خطأ فمِن نفسي، فالله أسأل السدادَ والتوفيق، وأنْ ينفع بهذا البحث.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

حسن محمد الأسمري

مدخل: مفهوم الفرقة واختلاف أحوال أتباع الفِرق.

يتناول هذا المدخل التعريف الموجز بمفهوم الفرقة، وأهم صورها في العالم الإسلاميّ، ثم بيان حال أتباعها اليوم، وهو المقصد الأهم لهذه الدراسة، وذلك في مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الفرقة والافتراق.

قال ابن منظور: (الفِرْقُ والفِرْقةُ والفَرِيقُ: الطائفة من الشيء المتَفرّق. والفِرْقةُ: طائفة من الناس)[٣]، وفي معجم معاصر "الفرقة" في اللغة: (الطائفة من الناس، يقال فرقة التمثيل، وفرقة الألعاب، وفرقة المطافئ...)[٤]، وعند الكفوي: (الفرقة بالكسر، اسم لجماعة مفترقة من الناس، بواسطة علامة التأنيث؛ لأنَّ الاسم يكون للجمع بالتأنيث كالمعتزلة...)[٥]. وعُرّفت الفرقة اصطلاحًا بـ: (الخروج عن السُّنة والجماعة في أصل أو أكثر من أصول الدين الاعتقادية منها أو العملية، أو المتعلقة بالمصالح العظمى للأمة، ومنه الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم بالسيف)[٦].

ومن هذه التعاريف نخرج بالمكوناتِ الأساسية لهذا المفهوم، وهي: الجماعة من الناس؛ البدعة؛ البروز والظهور والاشتهار؛ عقد اجتماعي يربط هذه الجماعة من الناس؛ الجماعة المتكونة لابد فيها من قيادة وأتباع؛ اسم أو وصْف يعطي الفرقة هويتها ويميزها عن غيرها.

فإذا اجتمعَتْ هذه المكوناتُ في مجموعة، كأنْ تلتفّ مجموعة حول بدعة أو مخالفة للكتاب والسُّنة، وهذه المجموعة مكوَّنة من قيادات وأتباع، وهذه البدعة أو المخالفة تُعدّ أصلًا، فإنهم يأخذون حُكم الفرقة أو المذهب الفكري، وليس هدفنا هنا ذِكر أسماء هذه الفرق والمذاهب.

المسألة الثانية: أهم الاتجاهات المعاصرة وما فيها من الفرق والمذاهب.

ومع أنَّ البحث لا يهدف لتسمية الفرقة الموجودة؛ فقد يكون من المستحسَن بيان المنهجيات العامة التي تعطينا صورة عن حال المسلمين اليوم، ويمكن إعادتها لخَمس منهجياتٍ، ويتبعُها خمسة اتجاهات، وهذه الاتجاهاتُ هي:

الأول: الاتجاه السلفي، وهو الاتجاه الذي يحرص على الدين كما كان في القرون المفضَّلة، عقيدة وشريعة وعبادة وسلوكًا، ويواجهون المحدثات في العقائد والعبادات.

---

(٣) لسان العرب، ١٠/٣٠٠.

(٤) المعجم الوسيط، ٢/٦٨٥.

(٥) الكليات، ص١٠٨٧.

(٦) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، د. ناصر العقل، ص٢٣. ويُنظَر: حقيقة الافتراق في كتاب: الاعتصام، الشاطبي، ٣/١٦١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

الثاني: الاتجاه الكلامي/الصوفي، وذلك أنه قد غلب على طائفة كبيرة من المسلمين الدمجُ بين علم الكلام في التصور وعلم التصوف في السلوك، فتجد في تراجمهم مثلًا: أنه على معتقد المتكلمين، وفي السلوك أنه يتبع طريقة من الطرق الصوفية(٧). مع أنه قد توجد بعض المنهجيات الصوفية المستقلة عن عِلم الكلام.

ويتميز هذا الاتجاه باتّباعهم في العقائد ما تمّ تقريره في علم الكلام، ويحتوي على مشكلاتٍ في الرؤية والمنهج، في المسائل والدلائل؛ كما أنهم في الجانب المسلكي، غالبًا ما يتعبدون وفق نموذج مؤسَّسَ من قِبَل شيوخ الطرق الصوفية.

الثالث: الاتجاه العصراني، مع وضْع كلمة العصرانية بين قوسيْن!، حيث إنها لفظة حادثة، وتأتي بمعنيين: الأولى بمعنى الوعي بالعصر، والثاني بمعنى المنهج الفكري الذي اشتهر بتمييع قضايا الدين لتتفق مع معطياتِ الحضارة الحديثة.

والوعي بالعصر غير مقصود هنا، فإنَّ كلَّ الاتجاهات تهتم بالعصر، وتملك رؤيتها حوله، فيبقى معنا تلك الفئة التي غلتْ في الخضوع لمستجداتِ العصر، فتوسعتْ في التأويلاتِ من أجل إخضاع النصوص الخبرية لهذه المستجدات النظرية، وتوسعَتْ في منهجية التيسير، وهي منهجية إسلامية أصيلة، ولكنها مع العصرانيين أصبحَتْ منهجية مائعة تُهوّن من أحكام الشريعة تلبيةً لهذه المستجدات.

وليس لهم كيان واحد على غرار الفرق الدينية والمذاهب الفكرية، بل هم موجودون في كل الاتجاهات، ولهم رموز علمية وفكرية، وتنتشر غالبًا في المتعلمين.

الرابع: الاتجاه الشيعي، وهو اتجاهٌ قديم، وقد آل أمرُه لثلاثة أقسام، أخفَّها غلوًّا الزيدية، مع أن في الزيدية فرقة الجارودية التي تقترب مع عقائد الإمامية الغالية، ومن ذلك زعمهم (أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي)(٨)، ثم يأتي بعدهم الإمامية الاثني عشرية، ثم الباطنية.

---

(٧) لقد لخص هذا الاتجاه الفقيه المالكي عبدالواحد ابن عاشر (١٠٤٠هـ) في متنه المشهور، فقال:

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

وقد درج الشراح على بيان هذه العلاقة، وقد جاء ابن عاشر بقسم من متنه في العقيدة وفق مذهب أبي الحسن الأشعري، وقسم حول التصوف، ينظر: العرف الناشر في شرح وأدلة فقه متن ابن عاشر، قسم العقيدة والتصوف، المختار العربي الشنقيطي، ص٢٣، ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٥هـ. ومن أوائل من جمع بين التصوف والكلام المحاسبي (٢٤٣هـ)، ذكر عنه د. المحمود أنه كان من رواد التصوف الكبار (الذين كونوا مدرسة كبرى ربطت بين الكلام والتصوف فيما بعد)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ٤٥٦/١، الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ؛ ويأتي في القرن الخامس أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) في الشهرة في الجمع بين الكلام والتصوف، وهو الذي يقول في كتابه (ميزان العمل) (لعلك تقول: كلامك في هذا الكتاب انقسم إلى ما يطابق مذهب الصوفية، وإلى ما يطابق مذهب الأشعرية وبعض المتكلمين)، ص٤٠٥، تحقيق د. سليمان دنيا، المعارف، مصر، ط١، ١٩٦٤م؛ وينظر حول العلاقة بين التصوف وعلم الكلام: الطرق الصوفية- نشأتها وعقائدها وآثارها، د. عبدالله السهلي، ص٢٦-٣٠، كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ؛ ومن يقرأ في (طبقات المناوي الكبرى)، للمناوي (١٠٣١هـ)، أو في الوفيات المذكورة في (تاريخ عجائب الآثار) للجبرتي (١٢٤٠هـ)، يجد شواهد ذلك.

(٨) الفرق بين الفرق، البغدادي، ص٣٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

وعادة ما يتمُّ التقسيم الكلي للمسلمين إلى قسمين: قسم سُنِّيٍّ يشمل أكثر المسلمين في القديم والحديث، وقسم شيعيّ يحوي بخاصة هذه الطوائف الثلاث، ويقوم جوهر معتقدهم على مفهوم الإمامة، والتي ترتبط بآل البيت.

الخامس: الاتجاه التغريبي، وهو اتجاه قريب في عمومه من الاتجاه الثالث، من جهة عدم وجود كيان واضح يشمل هؤلاء، فهم شخصياتٌ ومذاهب ومدارس متنوعة، تجمعهم بوصلة الاتجاه نحو الغرب وثقافته وحضارته، فهو النموذج الذي ينبغي عندهم أنْ يحتذى، وليسوا سواء في ذلك، فمِنهم الغالي ومنهم مَن هو دون ذلك.

وأخطر ما يكون مع هذا الاتجاه هو حجم قناعة الفرد أو المجموعة بالرؤية العلمانية، فغلاة المتغربين يذهبون مع العلمانية الشاملة التي ترى الدينَ خرافة ومرضًا تجب محاربته، ثم تأتي منه علمانية جزئية مداهنة، ترى الفصلَ بين الدين وبعض مجالات الحياة، مع الاختلاف في طبيعة هذه المجالات، وربما الطائفة التي وقعتْ في الانحراف من المسلمين مع حِرصهم على شعائر الإسلام على المستوى الشخصي، هم مَن يدخلون في دائرة البحث.

ما سبق، يقدّم صورة عامة لاتجاهات المسلمين اليوم، وعامة المسلمين هم تبع لهذا الاتجاه أو ذلك دون أنْ يكون لدى أغلبهم معرفة جيدة بأصول الاتجاه الذي يتبعونه؛ ومن ثم فهذا البحث يرتفع أيضًا إلى مستوى هذا العموم لوضع موقف مناسب من أتباع الاتجاهات المخالفة.

المسألة الثالثة: اختلاف أحوال المخالفين.

لقد جاء في النصوص ما يُبيِّن وقوع الافتراق في هذه الأمة، وقد خرجت أول الفِرق في زمن الصحابة رضي الله عنهم، وفي القرون المفضَّلة، فظهرتْ مواقف الصحابة والتابعين وسلف الأمة وعلمائها من هذه الفِرق وأهلها، وهذا الأمر يصنع لنا رصيدًا علميًّا وعمليًّا مُهمًّا لما نتبنّاه من مواقف.

فمن الأحاديث، قولُ الرسول صلى الله عليه وسلم: (افترقَت اليهود على إحدى أو اثنتيْن وسبعين فرقة، وتفرقَت النصارى على إحدى أو اثنتيْن وسبعين فرقة، وتفترق أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة)[٩]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا إنَّ مَن قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتيْن وسبعين مِلَّة، وإنَّ هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة)[١٠].

ويمكن أنْ نُعيد حال الفرق **لمساريْن مهمَيْن**: **مسار** البدع والمخالفات للكتاب والسُّنة التي أصبحَت مع الزمن من صُلب عقائد هذه الفرق، وهذا الباب ليس موطنَ الحديث هنا؛ **ومسار** الحاملين لهذه البدع والمخالفات، وهم مقصد هذه الدراسة.

---

(٩) أبو داود، رقم (٤٥٩٦)، والترمذي، رقم (٢٦٤٠)، وابن ماجة، رقم (٣٩٩١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، ٢٥/٥، ويُنظَر: السلسلة الصحيحة للألباني، ٣٥٦/١ برقم (٢٠٣).

(١٠) أبو داود رقم (٤٥٩٧) من حديث معاوية رضي الله عنه؛ قال محققه: إسناده حسن، سنن أبي داوود، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد قره، ٦/٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ومعلوم أنَّ الحاملين لهذه البدع والمخالفات ليسوا على حال واحدة، وليسَت مخالفاتهم بمستوى واحد، مع أنَّ الجميع ضمن بيت الإسلام الذي يشمل جميع المسلمين، فكلُّ من قال: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، فقد دخل هذا البيت، إلا أنَّ سكان هذا البيت ليسوا سواءً في الفضْل والقدْر، مع أنهم جميعًا من أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، كما جاء في حديث الافتراق السابق، وفيه: (تفترق أمتي..)، فجعلهم النبي صلى الله عليه وسلم من أمَّتِه.

وأهل الإسلام منازلهم معلومة: فأعلاهم السابق بالخيرات، ثم يليهم المقتصد، وأقلهم الظالم لنفسه، وهم جميعًا داخل بيت الإسلام، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾ [فاطر: ٣٢]. قال ابنُ كثير رحمه الله: (يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدِّق لما بين يديْه من الكتب، الذين اصطفيْنا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسَّمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال: "فمنهم ظالم لنفسه" وهو: المفرِّط في فعل بعض الواجبات، المرتكِب لبعض المحرَّمات. "ومنهم مُقتصِد" وهو: المؤدّي للواجبات، التارك للمُحرَّمات، وقد يترك بعض المستحبّات، ويفعل بعض المكروهات. "ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله" وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرَّمات والمكروهات وبعض المباحات)[١١]، وقال السعدي رحمه الله: (... فكلُّهم اصطفاه اصطفاه الله تعالى، لوراثة هذا الكتاب، وإنْ تفاوتَت مراتبهم، وتميزتْ أحوالهم، فلكلٍّ منهم قِسْط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإنَّ ما معه من أصل الإيمان، وعلوم الإيمان، وأعمال الإيمان، من وراثة الكتاب؛ لأنَّ المراد بوراثة الكتاب، وراثة عِلمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه)[١٢].

وبيتُ الإسلام اليوم يشمل أكثر من مليار ونصف مسلم، ومعلوم أنَّ فيهم الكثير ممَّن يتَّبع فرقة من الفِرق أو مذهبًا من المذاهب، والسؤال الكبير: كيف تكون العلاقة بين سكان هذا البيت؟

إنَّ علاقة أهل السُّنة ببقية الفِرق من الموضوعات العظيمة، والتي هي بحاجة للتأصيل العلمي المتين، مع مراعاة متغيرات العصر، فهناك متغيراتٌ ضخمة في واقع البشرية، وهذه المتغيرات ممتدَّة الأثر إلى عالم الإسلام اليوم، وينبغي –هنا– أنْ نفرِّق بين عصريْن: عصر

---

(١١) تفسير القرآن العظيم، ٥٤٦/٦.

(١٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٦٨٩، وفي ثنايا حديث لشيخ الإسلام ابن تيمية عن الصوفية ما يبين أنهم داخلون في هذا التقسيم، قال: (....تنازع الناس في طريقهم؛ فطائفة ذمت "الصوفية والتصوف". وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام. وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم. و"الصواب" أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب. ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه)، مجموع الفتاوى، ١٧/١١-١٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ما قبل التقنية والصناعة والثورة الاتصالية والمعلوماتية، وعصر تلك الثورة، عصر العولمة وما داخلها من ثوراتٍ غيَّرت الكثير من العلاقات، ولا يعني فقه هذه المتغيرات أن أحكام البدع التي وقع فيها أتباع الفرق مُتغيّرة، بل أحكامها ثابتة، والجديد منها يحكم عليه بأصل متقدم.

فقد أصبح عالَمَ الإسلام اليوم عالَمًا متقاربًا متداخلًا، وأصبح المسلمون في جبهة أمام العالم كله بأديانه وفِرقه ومذاهبه، فالعالَمَ مِن حولنا يعرِف المسلمين بأنهم أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وأنهم يتَّجهون لمكة، ومساجدهم في كلِّ مكان، وتقام فيها صلواتهم، وقد لا يعرفُ الكثير عن حجم التفرُّق والفِرق بين المسلمين(١٣)، بل مَن اقتنع بالإسلام وأراد الدخول فيه، فإنه يذهب لمن حوله من المسلمين، أو يبحث عبر محركاتِ البحث عن طريق الإسلام، على أنه شيء واحد. أمام هذا التحول التاريخي العظيم والتغير الكبير نحن بحاجة لبحث العلاقة بعمق ووعي.

المسألة الرابعة: أصول التعامل بين المسلمين ضمن مبدأ حق الأخوة وواجب النصيحة

القاعدة العامة في العلاقة بين المسلمين أنها تقوم على **الأُخوّة**، وللأخوة حقوقها وواجباتها، وتبدأ بما يجب لكل مسلم على أخيه المسلم، ثم تتفاضل؛ وإنه مما ينبغي أنْ يُلتفت له أولًا ويُعتنى به هو اسمُ الإسلام، قبل اسم الفِرقة أو الحزب أو الجماعة، كيف وهي مذمومة إن قامت على بدعة أو تسبّبت في الفرقة، ومنازلُ الإسلام معلومة: الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان كما في حديث جبريل المشهور(١٤)، وأهل الإسلام منازلهم معلومة: فأعلاهم السابقُ بالخيرات، ثم يليهم المقتصد، وأقلّهم الظالم لنفسه. وقد جاء في سياق حديثٍ لشيخ الإسلام ابن تيمية حول بعض مَن كفّر أتباع الفرق، قوله: (....وليس هو قول الأئمة الأربعة ولاغيرهم، وليس فيهم مَن كفَّر كلَّ مبتدع، بل المنقولات الصريحة عنهم تُناقِضُ ذلك، ولكن قد يُنقل عن أحدهم أنه كفَّر مَن قال بعض الأقوال، ويكون مقصوده أنَّ هذا القول كفرٌ ليحذر، ولا يلزم إذا كان القول كفرًا أنْ يُكفَّر كلُّ مَن قاله مع الجهل والتأويل، فإنَّ ثبوت الكفر في حقِّ الشخص المعيَّن كثبوت الوعيد في الآخرة في حقه، وذلك له شروط وموانع كما بسَّطناه في موضعه. وإذا لم يكونوا في نفس الأمر كفارًا لم يكونوا منافقين فيكونوا من المؤمنين، فيُستغفر لهم ويُترحَّم عليهم، ، يقصد كلَّ مَن سبقه من قرون الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ في تأويل تأوَّلَه فخالف السُّنة، أو أذنبَ ذنبًا، فإنه من إخوانه الذين سبَقوه بالإيمان، فيدخل في العموم، وإنْ كان من الثنتيْن والسبعين فرقة؛ فإنه ما مِن فرقة إلا وفيها خَلقٌ كثير ليسوا كفارًا، بل مؤمنين، فيهم ضلالٌ وذنبٌ يستحقون به الوعيد كما يستحقه عصاة المؤمنين، والنبي صلى الله عليه وسلم لمْ يُخرجْهم من الإسلام، بل جعلهم من أمَّته، ولم يقُل إنهم يُخلَّدون في النار. فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته....)(١٥).

---

(١٣) ويجدر التنبيه هنا أنه وإن كان الكثير من غير المسلمين غير عارف بهذه الفرق، إلا أن هناك نخب سياسية وفكرية ذات دراية جيدة بهذه الفرق، بل وهناك مراكز متخصصة لدراستها، وتوظف عادة في الصراعات السياسة والغزو الفكري للعالم الإسلامي.

(١٤) والحديث في مسلم (٨)، من حديث ابن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(١٥) منهاج السُّنة النبوية، ٥/١٤٠-١٤١، ونعلم من نصوص شيخ الإسلام –رحمه الله– أنه إنَّما أرادَ –هنا– فرقَ الأمَّةِ المعنيَّة بحديث الافتراق، ولَمْ يُرِد الفرقَ الَّتي لمْ

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ومن حقوق الأخوة: **النصيحة**، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**الدينُ النصيحة**)(١٦)، وأعظمُ درجاتِ النصيحة: النصيحة في الدين؛ لإخراج أهل البِدَع من بِدعهم، وتقريبهم إلى السُّنة، وتحبيبها إليهم؛ والنصيحة هنا لا تعني التباغُض والتدابُر بين المسلمين، بل تعني إيصال الخير للغير بأفضل قالب، وقيام العلاقة على مَحاسن الأخلاق، بل إنه حتى لو تقرر بحق أحدهم عقوبة شرعية فإنه يجب أنْ يكونَ مقصدها الإصلاح وأنْ تكون رحمةً بالخَلق وإحسانًا إليهم، قال ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس على الذنوب أنْ يقصد بذلك الإحسان إليهم والرحمة لهم، كما يقصد الوالدُ تأديبَ ولده، وكما يقصد الطبيبُ معالجة المريض)(١٧)، إلى أنْ قال: (وهكذا الردُّ على أهل البِدع من الرافضة وغيرهم: إنْ لم يُقصَد فيه بيانُ الحق وهدى الخلق ورحمتهم والإحسان إليهم، لم يكن عمله صالحًا. وإذا غلظ في ذمّ بدعة ومعصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذرها العباد، كما في نصوص الوعيد وغيرها. وقد يهجر الرجل عقوبة وتعزيرًا، والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله، للرحمة والإحسان، لا للتشفي والانتقام)(١٨).

وبناءً على ما سبق، فإنه يمكن تقسيم أتباع الفِرق والمذاهب لقسميْن: الأئمة أو القادة والأتباع، وينبني على ذلك اختلاف الموقف بحسب هذا الأمر.

أولًا: الأئمة والقادة.

من سُنن المجتمعات وجودُ القادة، ونِسبتهم في العادة قليلة، ولكنهم أصحاب الدور الأخطر، فهم المقتدَى بهم الذين يتبعهم الناسُ ويتأثرون بهم؛ وأمرهم عظيم، فما أصابوا فيه أصاب مَن يُقلدهم، وما أخطأوا فيه أو خالفوا فيه الكتاب والسُّنة قلّدهم أتباعهم في ذلك؛ وقد ظهر صدُّهم عن دين الله في حال الأمم قبلنا، قال تعالى﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة: ٣٤]، قال ابنُ كثير رحمه الله: (والمقصود: التحذير من علماء السوء وعباد الضلال كما قال سفيان بن عيينة: مَن فسد مِن علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومَن فسد مِن عبادنا كان فيه شبه من النصارى. وفي الحديث الصحيح: "لتركبُنَّ سنن مَن كان قبلكم حذوَ القذة بالقذة. قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمَن؟")(١٩).

يُدخلها العلماءُ في عدادِ فرق الأمَّة.

(١٦) مسلم، رقم (٢٠٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه، وقال ابن الأثير رحمه الله: ("النصيحة" كلمة يعبّر بها عن جملة: وهي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أنْ يعبّر عن هذه اللفظة بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها، وأصل النصيحة في اللغة: الخلوص)، جامع الأصول، لابن الأثير، ٥٥٨/١١.

(١٧) منهاج السُّنة النبوية، ٢٣٧/٥.

(١٨) المرجع السابق، ٢٣٩/٥.

(١٩) تفسير القرآن العظيم، ١٣٨/٤، والحديث في البخاري، رقم (٣٤٥٦)، مسلم، رقم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

وقد جاء في الأحاديث بيان خطر الأئمة المضلين، ومن هذه الأحاديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما أخافُ على أمتي الأئمة المضلين»(٢٠).

ويقابل أئمةُ الضلالة أئمةَ الهدى، ويدخل فيهم كلُّ مَن سنَّ سُنَّة حسنة واقتدى الناس به فيها، فقد جاء في دعاء عباد الرحمن: ﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ ﴾ [الفرقان: ٧٤]، قال ابنُ كثير رحمه الله: (وقوله: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال ابنُ عباس، والحسن، وقتادة، والسدي، والربيع بن أنس: أئمة يُقتدى بنا في الخير)(٢١).

والسؤال المهم هنا: ما الموقفُ المناسب من هؤلاء الأئمة أو القادة، ويدخل فيهم مَن كان مؤثرًا ومتبوعًا وله شأنه في هذه الفرق أو المذاهب؟. هذا ما سيكون جوابه بإذن الله في المبحث الأول.

ثانيًا: الأتباع.

الأتباع هم العددُ الأكبر في كلِّ فرقة أو طائفة أو مذهب، ويتميزون بخصائص تجعلهم غالبًا غير قادرين على بناء تصوُّراتهم دون الاستعانة بالقادة، وأكبر ما يواجه هؤلاء من المخاطر هو ما يأتي من **التقليد**، فلطالما كان باب التقليد منبعَ الشر للعامة، وهو العنصر الذي يربطهم بالقادة.

ومع أنَّ أحكام العامة من أهل البدع ليسَت مثل أحكام الخاصة، وبخاصة في استيعاب تحقُّق الشروط فيهم وانتفاء الموانع فليسوا فيها مثل القادة؛ لأنَّ غالبهم ممَّن يُحسِن الظنّ بمَن يقتدى به من قادة الفرق أو المذاهب، فيقع في فتنة التقليد بسبب ذلك، فيكون الواجب معهم مختلفًا عن الواجب مع القادة.

وقد جاء هذا الانحراف في الأمم من قبلنا، فوقعوا بسببه في شرك الطاعة، وجاء التحذير من سلوك مسلكهم، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، قال القرطبي رحمه الله: (قال أهل المعاني: جعلوا أحبارَهم ورهبانَهم كالأرباب حيث أطاعوهم في كل شيء).(٢٢)

---

(٢٠) سنن الترمذي، رقم (٢٢٢٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وقال: وهذا حديث حسَن صحيح، سنن أبي داود، (٤٢٥٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٤/١١٠.

(٢١) تفسير القرآن العظيم، ٦/١٣٣، وهناك مبحث لطيف للإمام السجزي عن الفرق بين أئمة السُّنة وأئمة الضلالة، يُنظَر: كتابه، رسالة السجزي فيمن أنكر الحرف والصوت، ص٢٠٥ وما بعدها.

(٢٢) الجامع لأحكام القرآن، ٨/١٢٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

والسؤال المهم هنا: ما الموقفُ المناسب من هؤلاء الأتباع، ويدخل فيهم حتى مَن اشتهر بتخصُّص في المجالات الحديثة وبرع فيها من الأطباء والمهندسين وغيرهم الذين لا يملكون القدرة العلمية الشرعية الكافية في المسائل الدينية؟. هذا ماسيكون جوابُه بإذن الله في المبحث الثاني.

المبحث الأول: الموقف من الأئمة والرموز:

تتكون الفِرقة –أو ما يُشابهها من المذاهب– من ثلاثة عناصر مهمة، هي:

١–العقائد والأفكار التي تُميّز الفرقة أو المذهب، ٢–المؤسسون والدعاة والمنظرون، ٣–المتأثرون بهم وهم الأتباع. ولكل مكوّن موقفٌ يناسبه، فما يناسب العقائد والأفكار المخالفة هو النقض والنقد؛ وهذا قد لا ينسحب على أصحابها؛ والتحول من نقد (الفكرة) إلى التعامل مع (صاحبها)، –وبخاصة مَن أنشأها أو يواصل إنتاجها والدعوة لها–، يُعدّ تحولًا شائكًا، فالتحول للرموز والقيادات والأشخاص بحاجة لموقف آخر يختلف عن الموقف من البدع ذاتها، فكيف يكون؟ يأتي هذا المبحث لمناقشة أخطر طرقَ الأتباع، وهم القادة، وسيكون ذلك في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: المواقف من الأئمة والقادة: (التحذير والرد والمناظرة).

توجد مجموعة من المواقف لأهل السُّنة مع قياداتِ وكبار أهل البدع يحفظها لنا التاريخ ونراها في الواقع، من مثل: الإهمال، الردّ، النقد، النقض، التحذير، التشويه، التوبيخ، البيان، النُّصح، الدعوة، المناظرة، الجدل، وغيرها، ويمكن إعادتها إلى **ثلاثة** أنواع: التحذير، والردِّ، والمناظرة.

أولًا: التحذير.

الحذر في اللغة يعني التحرُّز والتيقظ[٢٣]، فمَن يُحذّر هو مَن ينبِّه غيره، ويطلب منه أنْ يكون متيقظًا بشأن أمر ما.

ويغلب على الموقف **التحذيري** –هنا– أنْ يكون ببيان خطر الشخص وإظهار سوء حاله، وقد يصل التحذير إلى إطلاق أقسى الأقوال بحقِّه. وهو خطاب يتوجه بالأساس للجمهور المحيط بهذا الرمز، فليس الرمز مقصودًا وإنما مَن حوله.

والخطاب التحذيري هو موقف فطريّ وإنسانيّ نقوم به في كل لحظة، كما يفعل الآباء مع أبنائهم من تحذيرهم من بعض الأشرار؛ وهو يرتبط بالواجب الأخلاقي لمن علِمَ ضرر هذه البدع والانحرافات وأصحابها، فكما أنَّ أخلاق المسلم لا تسمح له بالسكوت عمَّن يؤذي أخاه المسلم في الأمور الحسية؛ فمِنْ باب أولى ما يُفسد دينَه وعقيدتَه.

إلا أنَّ الموقف التحذيري قد يتجاوز حدودَه المشروعة، فيخرج عن طور العدل إلى الظلم؛ والكلام في الناس لابد أنْ يكون بعلم وعدل، وأنْ تكون جميع مواقفنا مؤطرة بأخلاق الإسلام وقيمِه، فالغيرة على الدين لا تعني الانفصال عن أخلاق الإسلام، وحقيقة

(٢٣) يُنظَر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٣٧/٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

الإسلام أنْ تتقيد المواقف بأخلاقه وآدابه؛ ومن ثَمَّ جاءت النصوص العظيمة في أهمية الخُلق الحسَن ومنازل أهله العالية، كما جاءت آمرة بالعدل مع مَن نحب ومَن لا نحب، وأنْ نبذل قصارى الجهد في ضبط انفعالاتنا في الغضب والرضا، فقد تجرُّنا عواطفنا لأنْ نبالغ في مدح مَن نحب، أونبالغ في ذمّ مَن نكره.

وبما أنه يتعذّر إلغاء التحذير من الأشخاص وبيان معائبهم، فإنَّ الواجب هو ضبطه، فيكون بعلم وعدل وخُلق، والأصل أنْ يوضع في موضعه ويُقدّر بقدْره، فلا يكون هو الطابع العام، بل هو الاستثناء، ويُوَازن بين مصالحه ومفاسده، ويكون بعد استنفاد النصح والدعوة والبيان بالتي هي أحسنُ، وأنْ لا يتسبب في منكر مُساوٍ أو أكبر، وهذا ما نأخذه من هذا المعنى القرآني العظيم:﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، قال السعدي رحمه الله: (وفي هذه الآية الكريمة، دليل للقاعدة الشرعية، وهو أنَّ الوسائل تُعتبر بالأمور التي توصل إليها.[٢٤]

وكتب التراث تنقل لنا أشكال التحذير، وكلام العلماء مشهور ومحفوظ في التحذير من رموز البدع وأهل الأهواء، قال ابن تيمية رحمه الله: (ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسُّنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسُّنة؛ فإنَّ بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجبٌ باتفاق المسلمين..)[٢٥].

ومما ينبغي في هذا الباب عدمُ الاكتفاء بالتحذير، بل يُربَط بالانحراف وتوضيح خطره، فلا يكون قدحًا وتحذيرًا دون تدليل وتعليل. كما ينبغي أنْ نعلم حدودها النافعة والجائزة فلا نتجاوزها، فليس المقصود هو إطلاق العنان للسبِّ والشتم، بل هو تحذير من المشكلة، فيكون ذلك بحدوده المناسبة، قال النووي رحمه الله فيما يباح من الغيبة: (تحذير المسلمين من الشرّ ونصيحتهم، وذلك من وجوه: منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة....، ومنها: إذا رأى متفقِّهًا يتردَّد إلى مبتدعٍ، أو فاسقٍ يأخذ عنه العلم، وخاف أنْ يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أنْ يقصدَ النصيحة، وهذا مما يُغلَط فيه. وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطانُ عليه ذلك، ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطّن لذلك. الخامس: أنْ يكون مُجاهِرًا بفِسقه أو بدعته .... فيجوز ذكره بما يجاهر به؛ ويُحرَّم ذكره بغيره من العيوب، إلا أنْ يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه)[٢٦]، وفي المعنى نفسه يقول ابن تيمية رحمه الله: (وإذا كان مبتدعًا يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسُّنة، أو يسلك طريقًا يخالف الكتاب والسُّنة، ويخاف أنْ يُضلَّ الرجلُ الناسَ بذلك: بُيّنَ أمرُه للناس ليتقوا ضلاله ويعلموا حاله. وهذا كله يجب أنْ يكون على وجه النُّصح وابتغاء وجه الله

(٢٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٦٩.
(٢٥) مجموع الفتاوى، ٢٣١/٢٨.
(٢٦) رياض الصالحين، ص٤٣٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

تعالى، لا لهوى الشخص مع الإنسان: مثل أنْ يكون بينهما عداوة دنيوية أو تحاسُد أو تباغُض أو تنازع على الرئاسة، فيتكلم بمساويه مظهرًا للنصح، وقصده في الباطن الغض من الشخص واستيفاؤه منه، فهذا من عمل الشيطان و"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلِّ امرئ ما نوى" بل يكون الناصح قصده أنَّ الله يصلح ذلك الشخص، وأنْ يكفي المسلمين ضررَه في دينهم ودنياهم، ويسلك في هذا المقصود أيسرَ الطرق التي تُمكِّنه)[٢٧].

ونختم هذا الموقف بملحوظة جديرة بالعناية، وهي أنه ينبغي تضييق دائرة التحذير بعكس الرد والمناظرة، ومن ذلك أنه غالبًا يرتبط بالمؤثرين من الأحياء بخلاف الأموات، فالميت تناقَش أفكارُه، بخلاف الحيِّ الذي يمارس الفعل التأثيري بالحال والمقال، ويلتف الناس به؛ أيضًا ينبغي إعمال قاعدة المصالح والمفاسد بعناية في هذا الباب، فقد يكون المحذَّر منه صاحب أعمال حسنة، ويملك عناصر إيجابية سليمة ونافعة، ثم وقع منه مخالفة خطيرة، ويعمل على بثّها، فيُنظر لذلك بحكمة.

ثانيا: الردّ.

ردَّهُ في اللغة بمعنى: (صرف الشيء ورَجْعُه. والرد: مصدر رددت الشيء. وردّهُ عن وجهه يَرُدُّه ردًّا: صرفه، .... وردَّه عن الأمر ولَدَّه أي صرفه عنه برفق.... وردَّ عليه الشيء إذا لم يقبله، وكذلك إذا خَطّأه)[٢٨]، ونجد في معجم معاصر: (منعَهُ وصرفه. وردّه: أرجعَه؛ ويقال: ردّهُ إليه: أعادهُ. وردّهُ على عقبِه: دفعه)[٢٩]، فنخرج بمعنيَيْن مهميْن: منعه وصرفه ودفعه، وإعادته للطريق الصحيح؛ وهما معنيان مهمان في الرد، أنْ يُدفع الباطل ويُردّ صاحبه للحق.

و**الرد** موقف إنسانيٌّ مشهور، فالناس بين رادٍّ ومردودٍ عليه، فكيف إذا كان الأمر في جانب العقائد، فله أهميته وفوائده[٣٠]، وهو باب عظيم، وواجب كبير، حتى يسلمَ الناس من هذه الانحرافات التي أتى بها هؤلاء، ولا تبقى مزاحمة للحقِّ؛ ولهذا عدّه العلماء من أعظم أنواع الواجبات التي يُحمى بها الحق[٣١].

والمهم أنْ يكون الرد بعِلم وعدل، ومع أنَّ الرد متصل بالنقد، وهو مناقشة الأقوال والنصوص، واتباع خطوات النقد المناسبة فيها، إلا أنه في باب الرد يظهر صاحب القول مع قوله، وقد يدخل معها التحذير منه، كأن يقال: (ونردُّ على مقولة فلان بكذا وكذا)، فيذكُر اسمه وما يستدعي التحذير منه، ثم يأتي الردُّ بمعناه النقدي المتجه للبدعة والفكرة. وهذه تكون أظهرَ عندما يتمُّ الرد على كتاب أحدهم، أو على مقولة اشتهرتْ له وارتبطتْ باسمه فلا تُذكر إلا ويأتي اسمه، فمِن الطبيعي أنْ يظهر اسمُه في الرد.

---

(٢٧) مجموع الفتاوى، ٢٢١/٢٨.

(٢٨) لسان العرب، لابن منظور، ١٧٢/٣-١٧٣، مع الاختصار.

(٢٩) المعجم الوسيط، ص٣٣٧.

(٣٠) حول فائدته وأهميته يُنظَر: فقه الرد على المخالف، خالد السبت، ص١٥٨ وما بعدها.

(٣١) يُنظَر: رسالة بكر أبو زيد: الرد على المخالف من أصول الإسلام، ضمن كتاب الردود، ص٧-٤٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

والقاعدة العامة في هذا الباب: أنَّ ذِكر الشخص غير مراد[٣٢]، وإنما المراد ردُّ القول الباطل، ولا يُشترط عند ذكر المقالة أن يُذكر صاحبُها مقرونًا بالذم والتنقيص، وقد خصّ شيخ الإسلام رسالة لأحد علماء النصارى بالردِّ في كتابه المشهور "الجواب الصحيح"، ومع أنَّ صاحب الرسالة صاحبُ دين ضالٍّ بصريح الوحي، وتحوي رسالته أعظم الكفر، وكان الأصل أنْ تكون فاتحة الكتاب محتوية على عبارات شديدة بشأن صاحبها بما أضلّ قومه، إلا أنه لما كان المقصود هو المقالة، كانت فاتحة شيخ الإسلام في هذه الرسالة مختلفة إذ يقول: (.. وكان من أسباب نصر الدين وظهوره، أنَّ كتابًا ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملّتهم، قديمًا وحديثًا، من الحُجج السمعية والعقلية، فاقتضى ذلك أنْ نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب؛ لينتفع بذلك أولو الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان، والكتاب)[٣٣]، بل نجد عبارة محايدة لا تستفز الخصم وفيها ما يُشعِر بالاحترام، ولعلها تشجع النصراني على مطالعة الردِّ فيستفيد منه، وهي قوله: (علماء دينهم وفضلاء مِلتهم)، وعزّزها تاليًا، فقال: (وما ذكَروه في هذا الكتاب هو عمدتهم التي يعتمد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان، وقبل هذا الزمان، وإنْ كان قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الأحوال؛ فإنَّ هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك، ويتناقلها علماؤهم بينهم، والنسخ بها موجودة قديمة، وهي مضافة إلى بولص الراهب..)[٣٤]، وعندما بدأ مع دعوى لهم، نجده يقول: (فهؤلاء القوم في هذا المقام ادَّعوا أنَّ محمدًا – صلى الله عليه وسلم– لم يُرسَل إليهم، بل إلى أهل الجاهلية من العرب فهذه الدعوى على وجهيْن..)[٣٥]، فاكتفى هنا بعرض الدعوى.

يأتي هذا الأسلوب مع الكفار، فمِن باب أولى أنْ يكون مع المبتدع المسلم، ومع ذلك، فإنَّ القول فيها بحاجة لتفصيل في بعض الأحوال ليس هنا مقامه، وبخاصة عندما نجد مقولاتٍ لعلماء في ذمّ أشخاص وانتقاصها بعبارات شديدة، فهي توزَن بالمصالح والمفاسد، فكما أنَّ الأب قد يضطر لتحذير أبنائه من شخص بعينه ووصفه بأشد الأوصاف، فالعالِم هو مسؤول عن بيان الحق للناس وتحذيرهم من بعض الأشخاص بما يناسب التحذير كما سبق في فقرة التحذير، إلا أنَّ هذه لا تكون من كلِّ أحد، وليست في كلِّ مبتدع، وليست في كل زمان ومكان.

كما أنَّ الرد يأتي غالبًا في جواب ما يثيره المخالف على الإسلام أو على السُّنة، فمِن الأول ما يأتي من الكفار من الاعتراضات على الإسلام، ومن الثاني ما يأتي من قيادات الفرق والمذاهب على السُّنة وأحكام الإسلام مما يخالف الكتاب والسُّنة، فهم يُلقون أقوالهم الباطلة بين المسلمين، هنا يتصدى القادر من المسلمين بالرد، ومن الأمثلة على ذلك كتاب ابن القيم رحمه الله (هداية الحيارى في أجوبة

---

(٣٢) يُنظَر: الرد على المخالف.. ضمن كتاب الردود لبكر أبو زيد، ص٦٣.
(٣٣) الجواب الصحيح، ٩٨/١.
(٣٤) المرجع السابق، ٩٩/١.
(٣٥) المرجع السابق، ١٣٠/١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

اليهود والنصارى)، حيث بيَّن في مقدمة كتابه أنَّ هناك من زعماء النصارى مَن ألقى تُهَمَه وشبهاته حول الإسلام على شكل أسئلة؛ فوجب الرد عليها(٣٦). ومن الأمثلة داخل المسلمين كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (الرّد على الإخنائي)، فقد كتب الإخنائي رأيه في مسألة عقدية مشهورة، وخالف فيها الدليل، وعارض فيها شيخَ الإسلام، فانزعج البعض من ذلك، وأُتي بهذا الكلام إلى شيخ الإسلام، وفي ذلك يقول ابن تيمية: (لكنَّ المقصود هنا أنه أرسل إليّ ما كتبه هذا القاضي، وأقسم بالله عليّ أنْ أكتب عليه شيئًا ليظهرَ للناس جهلُ مثل هؤلاء الذين يتكلمون في الدين بغير علم)(٣٧)، ومع أنَّ صاحب هذا النص قد اتهم ابن تيمية بتُهم باطلة، إلا أنَّ ابن تيمية مع ذلك يُثني على ما فيه من الدين، وأنه لا يريد بالردِّ الانتصار لنفسه، يقول شيخ الإسلام: (فأمّا ما فيه من الافتراء والكذب على المجيب فليس المقصود الجواب عنه.... بل المقصود الانتصار لله ولكتابه ولرسوله ولدينه، وبيان جهل الجاهل الذي يتكلم في الدين بالباطل وبغير عِلم. فأذكر ما يتعلق بالمسألة وبالجواب. وليس المقصود أيضًا العدوان على أحد؛ لا المعترِض ولا غيره، ولا بخْسَ حقه، ولا تخصيصه بما لا يختص به، بما يشركه فيه غيره، بل المقصود الكلام بموجب العلم والعدل والدين، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ [المائدة: ٨]. وليس أيضًا المقصود ذمَّ شخص معين، بل المقصود بيان ما يُذمّ ويُنهى عنه ويُحذَّر عنه من الخطأ والضلال في هذا الباب، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما بالُ رجال يقولون أو يفعلون كذا». فيذم ذلك الفعلَ ويحذر عن ذلك النوع، وليس مقصوده إيذاء شخص معين. ولكن لما كان هذا صنَّف مصنفًا وأظهره وشهره؛ لم يكن بد من حكاية ألفاظه والردِّ عليه وعلى مَن هو مثله ممَّن ينتسب إلى علم ودين، ويتكلم في هذه المسألة بما يناقض دين المسلمين، حيث يجعل ما بعث الله به رسوله كفرًا، وهذا رأس هؤلاء المبدّلين، فالردُّ عليه ردٌّ عليهم)(٣٨).

ويحفظ لنا تراثنا أنواعًا من الردود، ومنها الردود على طوائف أو مقولات، مثل: الرد على الجهمية، الرد على أهل الأهواء والبدع، وفي المقولات مثل: الرد على مَن قال بخلْق القرآن، الرد على القائلين بوحدة الوجود، وهكذا، وهذه الأنواع ليست مقصودة هنا، وإنْ كانت في محتواها قد لا تختلف كثيرًا عن الردِّ على شخصية محدَّدة، فهي تركز على الموضوع وليس صاحبه، أمّا ما يتوجه للشخص وقوله فهو المقصود هنا.

---

(٣٦) يُنظَر: حول هذه الأسئلة، مقدمة محقق كتاب -هداية الحيارى- د. محمد الحاج، ص١٣١.

(٣٧) المرجع السابق، ص١٠٣.

(٣٨) المرجع السابق، ص١١٠-١١١، والحديث في مسلم، رقم (١٤٠١)، عن أنس رضي الله عنه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ثالثًا: المناظرة.

إذا كان **التحذير** محكومًا بالمصالح والمفاسد المعتبَرة، **والرد** يعود للنقد المتجه للموضوع وليس للشخص، ويأتي الشخص ضرورة كونه يثير أسئلة هي بحاجة لجواب، فإنَّ **المناظرة** هي الموقف الأهم الذي ينبغي أنْ يُسلك مع القيادات والرموز؛ لأنها تحقق مقاصد التحذير والرد وزيادة؛ ومن ثَمَّ نقف معها بما يُبيّن أهميتها بما يتسع له المقام.

يُعرِّفها عبدالرحمن الميداني: بـ(المحاورة بين فريقيْن حول موضوع، لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره)(٣٩).

والمناظرة فيها نقد، فإنَّ "المدعي" و"المعترض" يقومان بالنقد، فالمدعي يقدِّم دعواه، وينتقد اعتراضات المعترض، والمعترض إنما هو ناقدٌ باعتراضه، فبماذا يختلف النقد هنا عن النقد المخصَّص للبدع مفصولة عن أصحابها؟ النقد المخصص للبدع لا يكون فيه محاوره، وإنما يقوم الناقد بالنقض والردِّ، ولا ينتظر الاعتراض، فهو يُبيّن خللَ المسائل وخطأ الاستدلال، بخلاف النقد في المناظرة.

وقد يتحول النقض والنقد لمجادلة، كأن يتخيل الناقد أهلَ هذه الأصول المبتدعة، فإنْ فعل ذلك، فعليه أنْ يقيم المناظرة بشروطها، بحيث يعطيهم الحق في الدعوى والاعتراض، وإلا فليكتفِ بالنقض.

وقد تحدّث المصنِّفون في المناظرة عن أركانها وشروطها وآدابها ومراحلها، وسأكتفي هنا بما وضعه د. طه عبدالرحمن، في كتابه: سؤال المنهج، وذلك باختصار يوضح أهم معالمها.

شروط المناظرة العامة أو أركانها:

- لا بد لها من جانبيْن.
- لا بد لها من دعوى.
- لا بد لها من مآل أو نهاية يكون بعجز أحد الجانبيْن.
- لكل من الجانبيْن وظائف وآداب.
- من هذه الشروط ما هو أخلاقيٌّ، ومنها ما هو منطقيٌّ(٤٠).

---

(٣٩) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص٣٧١؛ ويُنظَر: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د. عثمان علي حسن، ٢٨/١؛ رسالة الآداب: آداب البحث والمناظرة، محي الدين عبدالحميد، ص٩.

(٤٠) يُنظَر: سؤال المنهج، طه عبدالرحمن، ص٢٠٠؛ ضوابط المعرفة، الميداني، ص٣٧٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

آداب المناظرة وأخلاقها:

وهو باب واسع، ومعلوم أنه لا يوجد باب من أبواب التعامل بين البشر إلا وله قيمُه الأخلاقية في الإسلام، ومنها –هنا– على سبيل المثال: التقارب المعرفي بين المتناظرين؛ تجنُّب الإساءة للخصم؛ أنْ يكون الحق مطلبَه؛ وأنْ لا يناظر مَن ليس مذهبه إلا المضادة؛ والقاعدة العامة هو أنْ نتمثل أحسنَ القيم في المناظرة(٤١).

منطقيات المناظرة:

هنا ندخل في طريقة أداء المناظرة، وعناصر الحركة فيها، بحيث تكون وفق قواعد منهجية متفق عليها، وسأتجنب الاصطلاحات الخاصة بأهل الفن؛ لأنها ليست مقصودنا هنا، وإنما الهدف كيف تكتمل شروط المناظرة الجيدة؟

أولًا: يُحدّدُ موضوع المناظرة، والذي يكون مع زعماء الفِرق أو المذاهب، فإن قَبِلَ المناظرة، يتخذ دور **العارض أو المعتقد**، ويقابله **المعترض أو المنتقد**. وهناك شروط مهمة يلتزم بها العارضُ فيما يعرضه، وشروط مثلها يلتزم بها المعترض.

ثانيًا: من حقِّ المعترِض أو المنتقِد أنْ يوجّه لموضوع العارض **ثلاثة** اعتراضاتٍ، وهي:

١) الاعتراض على **لفظ الدعوى** لما قد يكون فيها من ألفاظ غريبة أو مجمَلة.

٢) الاعتراض على **صحة النقل** إذا كان العارض ناقلًا.

٣) الاعتراض على **المضمون**، وهو يختلف بحسب اقترانه بالدليل أو عدم الاقتران به، كما يلي:

أ. إذا كان دون دليل، يكون الاعتراض بالمنع، بأنْ يطلب الدليل عليها.

ب. إذا كان بدليل، فهناك ثلاثة اعتراضات، وهي: المنع والنقض والمعارضة، على النحو الآتي:

١. **فالمنع** كما سبق هو بطلب الدليل، ولكن هنا بطلب الدليل على مقدمة من مقدمات دليل الدعوى.

٢. **النقض**، أنْ يُبطل دليل العارض، ببيان أنه لا يستلزم الدعوى، أو أنه يستلزم المحال.

٣. **المعارضة**، أنْ يُبطل دعوى العارض بإقامة الدليل على نقيضها أو على دعوى تساوي نقيضها أو أنها تستلزمه؛ وقد يتمُّ هذا الإبطال بدليل العارض عينه وهو المعارضة بالقلب، أو بدليل آخر يماثله صورةً وهو المعارضة بالمثل، أو يخالفه فيها وهو المعارضة بالغير.

ومعلومٌ أنَّ العارض والمعتقد هو بين واجب أو حقٍّ؛ فمِن جهة الواجب مثل أنْ يُقدم الدليل على دعواه إذا طُلب منه، ومن الحق، أنَّ له أنْ يردّ الاعتراضات، كل اعتراض بما يناسبه من الرد، ومن ذلك أنَّ من حقه –مثلًا– في "المعارضة" أنْ يدفع هذا الاعتراض بإحدى الوظائف الثلاث: المنع أو النقض أو المعارضة، إذ يصير كالمعترض في التزام وظائفه.

---

(٤١) يُنظَر: سؤال المنهج، ص٢٠١؛ منهج الجدل والمناظرة، ٧٤١/٢؛ ضوابط المعرفة، ص٣٧٢ وما بعدها؛ وبتوسع فقه الرد على المخالف، ص١٧١ وما بعدها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ثالثًا: من الواجب أنْ تنتهي المناظرة؛ إمّا بإلزام المعترِض الناقد أو إفحام العارض المعتقد، كما يلي:

١. **الإلزام**، فالمعترض يفقد حقوقه في متابعة اعتراضاته متى انتهى دليل العارض إلى قضية مُسلَّم بها عند المعترض.

٢. **الإفحام**، فالعارض يفقد حقوقَه في متابعة دعواه إذا عجز عن إقامة الدليل عليها(٤٢).

المطلب الثاني: نموذج تراثيّ من المناظرات.

بما أنَّ المناظرة هي الأهم من بين الصور الثلاث: التحذير والرد والمناظرة؛ فمن المناسب أنْ نقدم نموذجًا مميزًا من نماذج المناظرات، وتميّزه يأتي من كونه يرجع لخير القرون، وفي موضوع مهم تسبَّب في نزاع عظيم، فننظر كيف أقيمَت المناظرة في هذا الموضوع وفق نموذج يُحتذى.

مناظرة ابن عباس –رضي الله عنهما– للخوارج:

ظهرَت الخوارج الأولى في زمن عليٍّ رضي الله عنه، وكان سبب ظهورهم شُبَه وقعوا فيها في باب الإيمان، وبسببها انفصلوا عن المسلمين في وقت سياسيٍّ عصيب، فذهب إليهم عبدالله بن عباس –رضي الله عنهما– لمناقشتهم في الأمر، فقامت بينه وبينهم مناظرة مميزة يحكيها لنا فيقول:

(لما خرجَت الحرورية اعتزلوا في دار، وكانوا ستة آلاف، فقلت لعليٍّ: يا أميرَ المؤمنين، أبرِدْ بالصلاة، لعلّي أكلّم هؤلاء القوم، قال: إني أخافهم عليك. قلتُ: كلا، فلبستُ وترجَّلتُ ودخلتُ عليهم في دار نصف النهار وهم يأكلون، فقالوا: مرحبًا بك يا ابنَ عباس، فما جاء بك؟ قلتُ لهم: أتيتُكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عمّ النبي صلى الله عليه وسلم وصِهره، وعليهم نزل القرآنُ؛ فهم أعلمُ بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحدٌ؛ لأبلغكم ما يقولونَ وأبلِّغَهم ما تقولون. فانتحى لي نفرٌ منهم، قلتُ: هاتوا ما نقمتُم على أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وابن عمّه، قالوا: **ثلاث**، قلتُ: ما هُنَّ؟

قال: أما **إحداهن**: فإنه حكَّم الرجال في أمر الله، وقال الله: "إنِ الحُكم إلا لله"، ما شأن الرجال والحكم؟ قلتُ: هذه واحدة. قالوا: وأمّا **الثانية**: فإنه قاتل ولم يسبِ سباهم ولم يغنم، إنْ كانوا كفارًا لقد حلَّ سبيُهم ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ سبيُهم ولا قتالُهم. قلتُ: هذه ثنتان، فما **الثالثة؟** –وذكر كلمة معناها– قالوا: محى نفسَه من أمير المؤمنين، فإنْ لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قلتُ: هل عندكم شيءٌ غير هذا؟ قالوا: حسبُنا هذا، قلتُ لهم: أرأيتكم إنْ قرأتُ عليكم من كتاب الله جلَّ ثناؤه، وسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم، ما يردُّ قولَكم، أترجعون؟ قالوا: نعم.

---

(٤٢) باختصار عن سؤال المنهج، ص٢٠٢–٢٠٥؛ ويُنظَر بشكل أوسع: ضوابط المعرفة، الميداني، ص٣٧٧ وما بعدها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

قلت: أمّا قولكم: حكَّم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أنْ قد صير حكمَه إلى الرجال في ثُمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أنْ يحكموا فيه، أرأيتَ قول الله تبارك وتعالى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة: ٩٥]، وكان من حُكمِ الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء يحكم فيه، فجاز فيه حُكم الرجال، أنشدُكم بالله، أحُكم الرجال في صلاح ذات البيْن وحقْن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، بلى هذا أفضل. قلتُ: وفي المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ [النساء: ٣٥]، فنشدتُكم بالله، حُكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حُكمهم في بُضع امرأة؟، أخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعَمْ.

قلت: وأمّا قولكم: قاتلَ ولم يسبِ ولم يغنَم، أفتَسْبون أمَّكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، وهي أمُّكم؟ فإنْ قلتُم: إنا نستحلُّ منها ما نستحلُّ من غيرها، فقد كفرتُم، وإنْ قلتُم ليست بأمِّنا، فقد كفرتُم﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب: ٦]، فأنتم بين ضلالتيْن، فأتوا منها بمَخرج، أفخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعَمْ.

وأمّا محيُ نفسِه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، أنَّ نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالحَ المشركين، فقال، لعلي: "اكتُب يا عليّ: هذا ما صالحَ عليه محمد رسول الله" قالوا: لو نعلم أنك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ما قاتلناك!، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "امحُ يا عليّ، اللهمَّ إنك تعلم أني رسول الله، امحُ يا عليّ، واكتُب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله" والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم خيرٌ من عليّ، وقد محى نفسَه، ولم يكن محوه نفسَه ذلك محاه من النبوة، أخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعَمْ، فرجع منهم ألفان، وخرج سائرُهم فقُتلوا على ضلالتهم، قتلَهم المهاجرون والأنصار)[٤٣]. فبعد إقامة الحُجة عليهم، ونقاش ابن عباس لهم، وقعَتْ منهم أمورٌ شنيعة، فقتلوا بعض المسلمين ظلمًا وعدوانًا، عند ذلك قاتلهم عليّ رضي الله عنه، وانتصر عليهم، في النهروان، سنة٣٨هـ[٤٤].

---

(٤٣) السنن الكبرى، النسائي، ٧/ ٤٧٩، رقم (٨٥٢٢)، وقد جُمعت أطراف هذه المناظرة في بحث "مناظرة ابن عباس رضي الله عنه للخوارج وأثرها في علم الجدل والمناظرة"، د. رحيم سلوم مرهون، د. أحمد صالح حسين، ص٢٦١-٢٧١.

(٤٤) يُنظَر تلك الأحداث في: البداية والنهاية، لابن كثير، ٣١٩/٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ومما نخرج به من هذه الحادثة المشهورة ما يلي:

(تُمثِّل هذه المناظرة قيمة علمية يمكن أنْ نستلهم منها الأصولَ والقواعد والضوابط التي تستطيع الأمة الإسلامية من خلالها مواجهة التحديات المعاصرة، فهي تشكل أساس علم الجدل والمناظرة)[٤٥]، وبخاصة من صحابيٍّ دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالفقه والعلم في الدين[٤٦].

ونخرج من هذه الحادثة بأنَّ المناظرة كانت طريقًا معتبَرًا في التعامل مع المخالفين، وأنهم أقاموها وفقَ قوانين وأخلاقيات، فكانوا يُعطون للمخالف حقَّ تقديم ما يعتقده، وما يستدل به، ثم يُجاب عنها بالدليل النقلي أو العقلي، فلم يسكتوا عنها لتؤثر في الناس، ولا تركوا أهلها دونَ نصيحة ومناقشة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في سياق ما جاء من التوجيه الرباني للخلق: (..وحضَّهم على المناظرة والمشاورة، لاستخراج الصواب في الدنيا والآخرة، حيث يقول لمن رَضي دينهم: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨]، كما أمرهم بالمجادلة والمقاتلة، لمنْ عدلَ عن السبيل العادلة، حيث يقول آمرًا وناهيًا لنبيه والمؤمنين، لبيان ما يرضاه منهم: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿ * وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فكان أئمةُ الإسلام مُمتثلين لأمر المليك العلّام، يجادلون أهل الأهواء المضلة، حتى يردّوهم إلى سواء المِلة، كمجادلة ابن عباس – رضي الله عنهما– للخوارج المارقين، حتى رجع كثير منهم إلى ما خرج عنه من الدين، وكمناظرة كثير من السلف الأولين لصنوف المبتدعة الماضين...)[٤٧].

ترتبط البدع بالشبهات، وكل شبهة يتمُّ بناء محتواها واعتماد أدلتها من قِبَل أهلها، فيكون هدفُ العالِم المناظِر هو إزالة هذه الشبهات؛ وذلك بمناقشة أهلها ومناظرتهم بما يُبطل الاستدلال وما نتج عنه من شبهات. وقد استنطق ابن عباس –رضي الله عنهما– القومَ، فاستخرج شبهاتهم وأدلتها، وطلبهم إنْ كان عندهم غيرها، ثم قام بإبطالها بحُجج قوية مُقنِعة، شبهة شبهة.

ونجد أنَّ العناصر الأساسية الثلاثة للمناظرة التي سبق ذكرُها في منطقيات المناظرة متضمنة في هذه المناظرة المشهورة، على النحو الآتي:

---

(٤٥) مناظرة ابن عباس للخوارج، د. مرهون، ص٢٤٧.

(٤٦) يُنظَر: ما جاء في هذا الدعاء ورواياته، جامع الأصول، ابن الأثير، ٩/ ٦٣.

(٤٧) تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، ١/ ٣-٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

أولًا: موضوع المناظرة، فقد تحدّدَ عند طلب ابن عباس –رضي الله عنهما– إياهم: (هاتوا ما نقمتُم)، وتمّ حصرها في ثلاث مسائل، وسألهم بعدها: (هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا)، وقَبِلوا المناظرة، وقَبِلوا بالمرجع الفاصل في النزاع: (أرأيتكم إنْ قرأتُ عليكم من كتاب الله جلَّ ثناؤه، وسُنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ما يردُّ قولكم، أترجعون؟ قالوا: نعم)، فاتخذوا هم دورَ **العارض أو المعتقد**، واتخذ ابن عباس رضي الله عنهما دور **المعترض أو المنتقد**.

ثانيًا: قدّم ابنُ عباس –رضي الله عنهما– اعتراضه ونقدَه بعلم وعدل وحكمة، فلديهم مسائل بأدلتها بحسب فهمهم، وردَّ عليهم بالنقض والمعارضة، مسألةً مسألةً. كما أنهم كانوا في وضْع يسمح لهم بالرد، وبخاصة أنهم أصحاب الأرض، وقد كان –رضي الله عنه– بينهم مجردًا من أيّ قوة، ومع ذلك فقد سلّموا له بالصواب.

ثالثًا: من الواجب أنْ تنتهي المناظرة؛ إمّا بإلزام المعترض الناقد أو إفحام العارض المعتقد، وقد كانوا يُسلمون لابن عباس: (أخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم)، وقد كانت النتيجة أنْ رجع منهم عددٌ كبيرٌ.

ومن جهة الأسلوب الحواري؛ فقد جاء في قالب من الأدب والأسلوب الراقي، كما أنَّ فيه (حُسنَ الصياغة بالتزام اللسان العربي الفصيح، والإتيان بالكلام الطيب بعيدًا عن الشتم والفظاظة في الردِّ، والاقتصاد في السياق، فيؤتى بالألفاظ على قدْر المعاني دون تطويل لا حاجة له، أو تكرار يخلُّ ويملُّ)[٤٨].

المطلب الثالث: مسائل منهجية في الموقف من الإمام أو القائد والرمز.

أولًا: منزلة القائد والفَرق بين المؤسِّس والدعاة المتّبعين للمؤسس.

تنشأ البدع غالبًا مع شخصيات مشهورة، فإننا لا نجد منعطفًا خطيرًا في الديانات إلا مع شخصيات، تأسيسًا أو تسييرًا: **فالتأسيس** مثل بوذا وكنفشيوس مؤسسَي البوذية والكنفشيوسية، أو بولس وأثره في النصرانية، كما أنَّ الفِرق الدينية والمذاهب الفكرية ترجع لشخصيات، حتى أننا نجدها تنسب إليهم، كالجهمية في الفرق أو الماركسية في المذاهب، ولا يمكن الحديث عن فرقة أو مذهب إلا ويأتي الحديث عن المؤسّسين والمنظّرين؛ **والمتّبعين** للمؤسس من الدعاة والقائمين عليها بالرعاية، فكل فرقة أو مذهب إنما تستمر بسبب وجود مَن يقوم بنشرها وتدريسها والدفاع عنها؛ وما يظهر مع المؤسِّس، ويستمر مع الدعاة والرعاة يختلف عما يظهر من المجتمع ضمن دائرة المتغيرات الاجتماعية دون مؤسِّس معروف كالأعراف مثلًا.

أصبحت الفِرَق أبنية عقدية مكتملة، تأسسَت في الماضي من قِبَل شخصيات مشهورة، وتطورتْ قرنًا بعد قرن، لتتحول إلى نظام دينيٍّ كامل، مُزوَّد بأسلوب معرفيٍّ يمكن أنْ نُطلق عليه عقلًا أو منهجًا، وموضوعات هي معتقداتُ الفرقة، وتتورط الأجيال اللاحقة في

(٤٨) مناظرة ابن عباس للخوارج، د. مرهون، ص٢٨٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

هذا النظام، لتكون ضحية له، ولا يتجاوز دور المميز منهم غالبًا عن محاولته فهم قواعد وموضوعات هذا النظام وتعليمه، فيكون دور الشخصيات المميزة اللاحقة قائمًا على تسيير هذا النظام وتسييره.

فلا تقاس مناقشة السلف لمؤسسي الفِرق بعصرنا؛ لأنَّ مناقشة المؤسِّس تكون مع شخص متمكِّن من موضوعه، ولهذا تجده أكثرَ مرونة في التعديل والتغيير، بخلاف المقلِد وإنْ عدّه أصحابه زعيمًا، فهو غير قادر على تقبُّل النقد وتعديل الخطأ، وقد يكون لبعضهم مكاسب من الجاه أو المال يخسى خسارتها.

ومن ثمّ؛ فنحن بحاجة لإعادة الاعتبار للفرْق بين المؤسس وبين المقلّد الذي يقوم بعملية التسيير للبدعة في طريقة التعامل معه، فلا نُحمّل المقلّدين مالا طاقة لهم به، وإنما تكون مناظرتهم ومناقشتهم بالطريق الأنفع، ولا نستغرب حصول القصور الأخلاقي منهم، فهم ليسوا بمكانة المؤسّسين، ويحاولون تغطية ضعفهم بسوء القول.

أغلب رموز الفِرق التي يتوجه لها الشأن تكون في الماضي؛ فهي مشهورة في تراثنا الإسلامي؛ لأنَّ الفِرق تأسسَت في الماضي، أما الشخصيات المعاصرة فهم غالبًا مقلّدون لمن سلف، ويقومون بتسيير ما ورثوه، أشبه بالموظف الذي يقوم بإدارة عمل، فهم في حُكم المقلد، والمقلد يتّسم بأحوال تُضعف قدرته على استيعاب النقد وفهمه، وهو في أحسن أحواله يعتقد أنَّ إمام الفرقة التاريخي لا يمكن أنْ تخْفى عليه هذه المطاعن والتي لم يستطِع هو الإجابة عليها.

عند عودتنا لتراثنا الديني، نجده يحفظ لنا صورتيْن لبعض زعماء الفِرق ومشاهيرها، الصورة **الأولى** سلبية: وهي دورهم في صناعة البدع وقولهم بما يخالف الوحي؛ والصورة **الثانية** إيجابية: وهي أنَّ منهم المجتهد في باب من أبواب العلم، كالإمام في التفسير أو الحديث، أو الفقيه العظيم، أو الأصولي واللغوي المتبحر، والمجاهد الذي فتح الله على يديْه مناطق جديدة أو حرَّر مناطق أخرى أو حرس ثغور المسلمين ونشَر الإسلام.

والبعض لا يُحسن التوازن في هذا الباب، فإما أنه يُركّز على ما تميَّز به، أو يلتفت لما وقع منه.

والموقف الذي تأتلف به الصورة: أنه إذا كان الشخص موجودًا في تاريخنا، فليس أمامنا سوى منهجية النقد مع بدعته، فإذا كان ذا شأن في تاريخنا علمًا أو جهادًا، فيقال فيه القول العدل ويُتعامل معه بالأدب، فهو إمامٌ في التفسير أو الحديث أو اللغة أو الفقه، فيؤخذ عنه علمه، وما وقع منه فيُبيّن خطأ ذلك الأمر، وتُذكر مناقشة العلماء له عند الحاجة، فالنقد هنا لا يعني غمْط العلم والعمل الذي معه، ومثل هؤلاء لا ينبغي انتقاصُ أشخاصهم، فيكون النقد متينًا وقويًّا للبدعة ويكون التعامل معه بأدب الإسلام. فمِن جهة؛ لم نقبل البدعة، ومن جهة أخرى، حفظْنا له فضله ومنزلته فيما أحسنَ فيه. أما المعاصر منهم، فأفضل المواقف معه هو موقف المناظرة، على أنْ تُحفظ لأهل الفضل منهم منزلته، ولها مزيدُ بيانٍ في فقرة الموازنة بين المصالح والمفاسد.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

والأمر نفسه يأتي مع المذاهب الفكرية في الشكل العام، فهناك مؤسِّس وهناك الناشر والمسيّر لها، وإنْ كان الحال في المذاهب الفكرية يختلف في كون المؤسِّس غالبًا من رموز الفكر الغربي، ويكون حال أتباعهم من المسلمين هو التقليد فقط، نسمع أسماء كبيرة ولكن في النهاية لا تجد سوى مقلد، يقوم بإعادة تدوير الأفكار الغربية في العالم الإسلامي، قد يكون هناك فقط شخصيات تبدع في التقليد.

ثانيًا: العدالة والضبط:

لقد بدأ النظر المنهجيُّ للأشخاص في تراثنا وفق قواعد علمية صارمة مع علم الحديث، وبخاصة في بابَي الجرح والتعديل، وذلك من جهتيْن مهمتيْن: العدالة والضبط، فما المقصود بهما؟

العدالة: الاستقامة والتقوى(٤٩)، وهذا المعنى له صلة بموضوعنا، من خلال الحديث عن رواية المبتدع، وذلك أنَّ العدالة هنا تتعلق بالمعتقد والقيم التي يحملها الراوي، فكيف نظر علماء الإسلام لهذا المفهوم؟ وكيف نُوظّفه في بابنا؟

الضبط: بأنْ يؤدي الراوي ما تحمّله لغيره بدون زيادة أو نقصان(٥٠)، وموضوع الضبط مسألة فنية في ظاهرها، وبخاصة في عالَم الرواية، والميزة الإسلامية هي ارتفاع المجاملات عنها، فسواء كان الشخص من أعزّ الأقارب ولو كان الأبَ، أو من أعبَدِ الناس، فلا تأثيرَ لها في الجرح والتعديل، بل عُرف عن أهل السُّنة قبول رواية بعض المبتدعة لما عُرف عنهم من قوة الضبط، وترْك رواية من يحبون من آبائهم وشيوخهم لضَعف ضبطهم، قال الخطيب البغدادي رحمه الله: (فليس أحدٌ من أهل الحديث يحابي في الحديث أباه، ولا أخاه، ولا ولده. وهذا عليّ بن عبد الله المديني، وهو إمامُ الحديث في عصره، لا يُروى عنه حرف في تقوية أبيه، بل يروى عنه ضد ذلك)(٥١)، وفي المقابل يُقبل الحق ممَّن جاء به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولكن الحق يُقبَل من كل مَن تكلم به؛ وكان معاذُ بن جبل يقول: ... اقبلوا الحق من كل مَن جاء به؛ وإنْ كان كافرًا -أو قال فاجرًا- واحذروا زيغة الحكيم. قالوا: كيف نعلم أنَّ الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إنَّ على الحق نورًا..)، وقال أيضًا: (وأُمِرْنا بالعدل والقسط؛ فلا يجوز لنا إذا قال يهوديّ أو نصرانيّ، فضلًا عن الرافضيّ، قولًا فيه حقٌّ أنْ نتركه أو نردَّه كله، بل لا نردُّ إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق)(٥٢).

وهذه المنهجية يمكن القول بأنها الأرضية التي يتأسس من خلالها التعامل مع الأشخاص، وهي نموذج منهجيٌّ غير مسبوق في المناهج الإنسانية، فمن خلالها جاءت المواقف من الأشخاص في جميع المجالات، وبين أيدينا نصٌّ ذهبيٌّ لابن رجب رحمه الله، قال فيه:

---

(٤٩) يُنظَر: نزهة النظر، ابن حجر، ص٦٨؛ مصطلح الحديث، محمد ابن عثيمين، ص١٠.

(٥٠) يُنظَر: نزهة النظر، ص٩٦؛ مصطلح الحديث، ص١٠-١١.

(٥١) شرف أصحاب الحديث، ص٤١.

(٥٢) منهاج السُّنة، ٣٤٢/٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

(ولا فرقَ بين الطعن في رواة حفَّاظ الحديث ولا التمييز بين مَن تُقبل روايته منهم ومَن لا تُقبل. وبين تَبيْين خطأ مَن أخطأ في فهم معاني الكتاب والسُّنة وتأوَّلَ شيئًا منها على غير تأويله وتمسَّك بما لا يُتمسك به، ليُحذِّر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه، وقد أجمع العلماء على جواز ذلك أيضًا؛ ولهذا نجد في كُتبهم المصنَّفة في أنواع العلوم الشرعية من التفسير، وشروح الحديث، والفقه، واختلاف العلماء وغير ذلك ممتلئة بالمناظرات وردِّ أقوال مَن تُضَعَّفُ أقواله من أئمة السلف والخلف، من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدَهم.

ولم يترك ذلك أحد من أهل العلم، ولا ادعى فيه طعنًا على من ردَّ عليه قولَه، ولا ذمًّا ولا نقصًا، اللهم إلا أنْ يكون المصنِّف ممَّن يُفحِش في الكلام، ويُسيءُ الأدب في العبارة فيُنكَر عليه فحاشته وإساءته دون أصل ردِّه ومخالفته، إقامةً للحجج الشرعية والأدلة المعتبَرة. وسبب ذلك أنَّ علماء الدين كلُّهم مجمعون على قصد إظهار الحق الذي بعَث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، ولأنْ يكون الدين كله لله، وأنْ تكون كلمته هي العليا...)(٥٣).

فهذا النص يُبيّن توسيع النظر للأشخاص، وبخاصة في مجال العقائد، وأنَّ كُتب العلماء (ممتلئة بالمناظرات والردود)، مع ما يتضمن من الدعوة للأدب في الرد، بل يُنكرُ على الرادّ إذا تعدّى بالفحش والإساءة. وهذا يقودنا للفقرة التالية:

ثالثًا: أنْ يكون الموقف من الرموز بعِلم وعدل وحُسن تعامُل.

وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]، فإنَّ المجادلة لا تستقيم صحيحة إلا بعِلم وعدل، ولا تؤدي أثرَها وفائدتها إلا بقصْد الحسن فيها تعامُلًا ورحمة، فلا يظن ظانٌّ أنَّ التحذير منهم يرفع حُسن التعامل معهم والرفق بهم(٥٤).

قال ابن تيمية رحمه الله: (وأئمة السُّنة والجماعة وأهل العلم والإيمان؛ فيهم العلم والعدل والرحمة؛ فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على مَن خرج منها ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ [المائدة: ٨]، ويرحمون الخلقَ فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشرَّ لهم ابتداءً؛ بل إذا عاقبوهم وبيَّنوا خطأهم وجهلهم وظلمهم؛ كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنْ يكون الدين كله لله وأنْ تكون كلمة الله هي العليا)(٥٥).

---

(٥٣) الفرق بين النصيحة والتعيير، ص٨.

(٥٤) يُنظَر: جميل ما سطره خالد السبت في فقه الرد على المخالف، ص٢٥٩-٢٦٨.

(٥٥) الاستغاثة في الرد على البكري، ص٢٥١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ومن خصائص الرؤية الإسلامية التوازن والوسطية والعدل في التصورات والمواقف، فإنَّ المسلم وفق مبدأ الولاء والبراء يُبغض ما يبغضه الله ورسوله، ويحب ما يحبُّه الله ورسوله، ومن ذلك البدع والعقائد والأفكار المخالفة للكتاب والسُّنة، ومَن يقوم على نشرها والدعوة إليها، وفي الوقت نفسه لا يقع في الظلم والجهل مع المخالفين، ويكون حرصُه على هداية الخلق من أعلى مطالبه، فيستقيم عنده بغض العقائد الفاسدة وأهلها مع العدل والتعامل الحسَن والرحمة بالخلق(٥٦).

رابعًا: مراعاة المصالح والمفاسد.

لابد من الانتباه للموازنة بين المصالح والمفاسد في التعامل مع الأشخاص وبخاصة في عصرنا، فإنَّ الرجل منهم قد يكون له من الحسناتِ والنفع للمسلمين ما يوجب الحيطة في التشهير به، كما أنَّ لبعضهم في بيئاتهم مواقف عظيمة في مواجهة الإلحاد والعلمانية والتغريب، فيكون بقاؤه مع ما تلبَّس به من بِدَع -التي لا تقارن بالإلحاد والعلمانية- أهونَ من التشهير به وتنقيصه والتحذير منه، فيجدها العلمانيون فرصة لإسقاط مكانته ومنزلته ليصفو لهم الجوُّ، وقد كان لبعضهم من المواقف المشهودة في الدفاع عن شرائع ظاهرة ومسلَّمات دينية عظيمة انتهكها العلمانيون ما يُشكَرون عليه، وينبغي أخذُها بالاعتبار، ويجب التشاور بين العلماء والدعاة فيما هو أنسبُ من التعامل مع الرموز المعاصرة.

بل قد يكون الأنفع في معركة المسلمين اليوم مع خصوم الإسلام، هو الاكتفاء بالمناقشة والمناظرة في أجواء يسودُها النصح والاحترام، وغير معلَنة، وعند الضرورة؛ فيُبيَّن فضلُه ودورُه في شأن الدين ومواجهة العلمانيين، ثم ننعطف على ما عنده بالطريقة التي يظهر فيها الحقُّ دون أنْ تكون مَدخلًا للعلمانيين في إسقاطه.

وبدون شكٍّ، نصوص علمائنا بيّنة وواضحة في التحذير ممَّن خالَف الكتاب والسُّنة، إلا أنَّ المطلوب هو فقه مُجمَل موقف السلف، بحيث يُعرف متى يتم البيان والتحذير، فإذا كانت فائدة ذلك غير متحققة، أو يوجد من المفسدين مَن يستثمر ذلك، فلنا طرق كثيرة بديلة، تؤدي الغرض – ولله الحمد – ولا تفتح البابَ لخصوم الإسلام على المسلمين.

وهناك ملحَظ آخر ينبغي أخذُه في الاعتبار في باب الموازنة؛ فإنَّ التوجه للشخص المشهور الذي له أتباع، بُعدٌ نفسيٌّ ينبغي التنبه له، فإنَّ نقد الأشخاص يرفع من نار الغضب، ويجدُها الشيطان فرصة للتغلغل في ذات المبتدع، فتدعوه العزّة بالإثم أنْ يُصرّ على رأيه، ويستميت في الدفاع عنه، ويُكثِر من طرحِه، ويصبح هو ديدنه في كل مناسبة، ولسنا قادرين على مخاطبة

(٥٦) ويُنظَر: للمزيد: هجر المبتدع، بكر أبو زيد، ص٤٨-٥٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

كل مَن خاطبهم، وكنا كمَن شجّعه على العمل المستمر، بخلاف حاله قبل توجيه اللوم له، فقد كان يتحدث عنها بحسب الظرف المناسب، ودون أنْ يتشدد في طلب كل مداخلها ومخارجها، ومن ثم كانت الحكمة في مداواة النفوس، وليس في فضحها.

خامسًا: التفريق بين الحيّ والميت

يُفرَّقُ في القيادات بين الميت منهم وبين الحيّ، **فالميت**، ينبغي الاكتفاء بأقواله دون ذاته، فيكون النقد لما كَتَب أو قال، ولابد من بيان ما وقع فيه من خطأ عند الحاجة، وبخاصة مَن كان له كتب مقروءة، ولها أهميتها في بابها، كما رأينا من ثناء أهل العلم على تفسير الزمخشري في أبواب اللغة والبلاغة القرآنية، مع التحذير مما فيه من اعتزاليات(٥٧). أما **الحيُّ**، فهناك واجب الدعوة والنصيحة والمناقشة والحوار والمجادلة والمناظرة، وغيرها.

وقد ظهر مسلكٌ حديثٌ بحاجة للمراجعة، وذلك أنه يتم الاحتفاء برموز بدعية من قِبَل الاستشراق والتغريب، كرموز في التصوف والفلسفة والاعتزال وغير ذلك، ولهم أهدافهم في ذلك العمل، فيقوم البعض في المقابل، ومن باب التحذير، بإصدار المقالات والمقولات والمؤلفات في ذمّ هذا الشخص الذي جاء إبرازُه من قِبَل أهل الاستشراق والتغريب، ونجد في عصرنا ظهورَ كُتب عن مثل هذه الرموز، يقوم المؤلفُ بجمع كلِّ الأقوال التي يستطيع جمعَها في ذمّه أو تكفيره، وكل مَن قال فيه أقبح الأقوال وأشنعها، ويقصد من ذلك تحذير المسلمين، وقد يغفل عن تحقيق هذه الأقوال ودراستها بحسب واقعها التاريخي.

فهذه الوسيلة الإسقاطية ليست مما يَحسُن في هذا الباب؛ لأنها لا تُركز على نقد أقواله وبدعه، وإنما عمدتها نقل أحكام الغير عليه، بل وقع التوسع من بعض الناس في ذمّ رموز إسلامية عظيمة؛ كالإمام النووي والإمام ابن حجَر، وهي وإنْ كانت شاذة إلا أنها تعتمد الوسيلة نفسها.

فيكون الأصح هنا –والله أعلم– هو التوجه للقول وليس القائل، فإذا توجَّهْنا للقائل فيكون بعلم وعدل، ووفق قيم الإسلام، وحتى لو أتينا في نهاية النقد بأسماء مَن سبقنا في هذا النقد، وأخذ نقدهم المدلل فقط دون ما قالوه من عبارة القدح، لكان ذلك محققًا لمقصد تأكيد وجود إنكار له ونقد لأقواله من علماء معتبَرين.

(٥٧) ينظر مثلا كلام الشيخ ابن عثيمين في كتابه: شرح مقدمة التفسير– شيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٠١-١٠٢، دار الوطن، الرياض.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

سادسًا: التمكن من الرد أو التحذير أو المناظرة

يُشترط في القيام بهذا العمل أنْ يكون القائم به على مقدرة علمية ومنهجية، فقد يقود الحماس والغيرة البعض لخوض هذا المجال وهو غير مؤهل له، فيقع من فعله عكس المقصود، فقد تقوى البدعة ويتسع أمرها، ويكثر أتباعها بسبب فشل القائم بالمناظرة عن القيام بها كما يجب.

وهناك ثلاثة مواطن ينبغي التأكد من اكتمالها قبل خوض هذا الأمر، وهي: العلم المتين بموضوع المناظرة، والتمكن الجيد من أساليب النقاش والمناظرة، والامتلاء العميق بالثقة وضبط النفس؛ فإذا لم يكن عنده هذه المكونات فلا يقتحم هذا المجال، وهو يشبه مَن تطوَّع للدفاع عن المسلمين في معركة مادية، ولكنه غير مؤهل جسديًّا ومهاريًّا لمواجهة العدو، فيُهزم في أول المواجهة، ويقتحم العدو مجال المسلمين، والأمر أعظم في الأمور الفكرية والعلمية.

وينقل لنا الشاطبي – رحمه الله – مكاتبة إلى الإمام مالك بن أنس، يقول صاحبها للإمام: (أنَّ بلدنا كثيرُ البدع، وأنه ألّف لهم كلامًا في الرد عليهم. فكتب إليه مالك يقول له: "إنْ ظننتَ ذلك بنفسك خفت أنْ تزل فتهلك، لا يرد عليهم إلا مَن كان ضابطًا عارفًا بما يقول لهم لا يقدرون أنْ يعرجوا عليه، فهذا لا بأسَ به وأمّا غير ذلك فإني أخاف أنْ يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه أو يظفروا منه بشيء، فيطغوا ويزدادوا تماديًا على ذلك)[٥٨].

وما يرتبط بالقائد والداعية من المسائل والضوابط والقواعد ميدانٌ كبيرٌ، وقد اكتفيتُ هنا بما هو في صلب الموضوع، على أنْ يكون في المذكور إشارة لما لم يُذكر، والآن وبعد أنْ أُنهي الحديث عن القائد ومنهج مناظرته، ننتقل للأتباع وطريقة التعامل مهم.

المبحث الثاني: الموقف من عامة الناس مَن أتباع الفِرق

لا تكتمل الفِرقة أو المذهب إلا بوجود الأتباع، وقد نجحَت بعض الفِرق والمذاهب في استقطاب أعداد كبيرة، بأدواتٍ وطرق مختلفة، وبعضها ذات امتداد تاريخيٍّ طويل، فضلًا عمّا استجد في عصرنا.

ومن الخطأ النظرُ إلى المنتمين إلى الفِرق والمذاهب على أنهم شيء واحد، وبخاصة في باب التعامل؛ فهناك العالِم والقائد والمنظّر والمفكّر والداعية والقائم على نشْر البدعة أو الانحراف الفكري؛ وهناك الفاهم لهذه القضايا دون عِلمه بما يقابلها من الحق؛ وهناك الذين يتَّبعون الفرقة أو المذهب تقليدًا وليس عندهم معرفة بحقيقة هذه البدع والانحرافات مع إعلان الانتساب،

(٥٨) الاعتصام، ١/٣٨-٣٩، تحقيق: الشقير والحميد والصيني؛ ويُنظَر: حول هذا المسألة: الرد على المخالف ضمن كتاب الردود، بكر أبو زيد، ص٥٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

والأخير هو حالُ الكثير ممَّن ينتسب للفرق والمذاهب، فيقلدون الرموز والمشاهير والقادة، فهم يُحسِنون الظنَّ في مشاهيرهم، ويرون فيهم الصدقَ والأمانة والوعي والنظر، ولا يقبَلون قول مَن يشكك فيهم أو يخطّئهم(٥٩).

وكما سبق في القادة بأنَّ الحديث هنا ليس عن الحكم عليهم، وهو بابٌ عظيم في الدراسات العقدية، من جهة الحكم بالكفر والبدعة على الأشخاص، وبحث تحقَّق الشروط وانتفاء الموانع، والتفريق بين مَن قامت عليه الحُجة ومَن لم تقُم عليه، وإنما المقصود هنا بيان الموقف الإصلاحي، في واقعنا اليوم.

المطلب الأول: سماتُ الأتباع بين خاصية الخيرية ومأزق الجهل

لكي نخرج بموقف إيجابيٍّ مناسب ينجح في تحقيق الإصلاح؛ نحن بحاجة لمعرفة سماتِ الأتباع وخصائصهم في العالم الإسلامي، ومرجع هذه المعرفة من خلال الوعي بالتاريخ والواقع، ومن خلال الرجوع لمنهج أهل السُّنة والجماعة، وهذه السمات يمكن إرجاعها لبابيْن: باب الخيرية الذي هو وصْف ثابت لهذه الأمة، ولكن يصاب بعض أهلها بالضَّعف والنقص والجهل، فيقع منهم ما يؤثّر فيهم، وهو الباب الثاني.

فسمة **الخيرية** تظهر في جوانب أهمها: أنهم يمثلون جسم الأمة الأكبر، أهل القِبلة، والصلاة، والجهاد، وفيهم مَن ينصر الله به هذا الدين، وإنْ تلبّسَ ببدع، كما حَفِظ تاريخنا بطولات ممَّن رفَع راية الجهاد، وحفَظ الله به الثغورَ، ونشَر العلم والإسلام.

ويغلب على المسلمين –ممَّن يتبعون الفرق– اتصافُهم بما يوافق الفطرة؛ فهم من أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم، أمة وحْي وفطرة، وهو ما يجعلهم ضمن أمة هي بكاملها من خير الأمم، وفيهم السابق بالخيرات والمقتصد والظالم لنفسه، وهذه الخيرية العامة بسبب ما يقوم بهم ممّا يتفق مع ظاهر الإسلام والفطرة.

ويظهر منهم تعظيمٌ لشعائر الإسلام حتى وإنْ وقع منهم التقصير، **فقيامهم بشعائر الإسلام الظاهرة** يكشف تميّزهم، وهم ضمن هذه الملايين من عوام المسلمين المهتمين بدينهم، وبعوام أهل السنة مع عوام أهل الفرق تمتلأ المساجد بالمصلين شرقَ الأرض وغربَها، بل وتجد في الدول غير المسلمة عشراتِ المساجد، وكل مسجد تجد مَن يعمره؛ والأمر أوضح في الجُمَع، وفي العيديْن؛ ومثل ذلك في الصيام والعمرة والحج، وغيرها من شعائر الإسلام، وهي الأركان التي كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يأمر رسله ودعاته بتبليغها.

---

(٥٩) هناك قسمان من العامة: قسم يتبع الفرق والمذاهب، وهم المقصود هنا، وقسم لا يتبع فرقة أو مذهبًا، وإنما هم تيار اجتماعي مرتبط بانحرافات خطيرة، من مثل بدع القبور والسحرة والتبرك.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ومن ذلك أيضًا، **معرفتهم للمحرمات**، وابتعادهم عنها، ومَن وقع فيها وقع تحت ضغط الشهوات، وتجد نفسه اللوامة تؤنّبه، وهو يشعر بالذنب ويقرُّ بالخطأ، ويمنّي نفسه بالتوبة. وهذا مُكمّل لهوية المسلم، فهو الذي يؤدي العبادات ويُطهّر نفسَه من الذنوب.

وأما من جهة العامة ممن ينتمون لهذه الفِرق والمذاهب فغالبهم فيما يظهر للمتأمل أنهم غير قادرين على استيعاب أصول مذهبهم: إما أنَّ تلك الأصول **تخالف الفطرة**، فيسمعونها من علمائهم، وتدخل من أذُن وتخرج من الأخرى، وكذا الأمر مع المذاهب الفكرية الحديثة، حيث تحوي في تفاصيلها مايعاكس الفِطَر، وكل ما معهم منها عموميات من هذه المذاهب، لا تصمد أمام ماهو متجذّر في فطرتهم أو ما معهم من الوحي؛ أو **لصعوبتها**، فهي مَبنية على مبادئ عقلية في غاية التعقيد كما نشاهد من الأنظمة العقدية الكلامية والفلسفية التي بُنيَتْ عليها، في باب الصفاتِ والقدَر والإيمان وغيرها، وهو ظاهرٌ فيما يُسمى بدقيق الكلام الذي يصعُب على المتعلمين فهمه، فكيف بعامة الناس؟!، وكذا الحال مع تفاصيل المذاهب الحديثة؛ ولذا فما يتلقاه عامة المسلمين من هذه التنظيرات يبقى على السطح، وهم يجدون ما معهم من القرآن موافقًا للفطرة، وهو ما يرجعون له غالبًا في نهاية المطاف.

وفي مقابل الخيرية؛ يأتي باب آخر عكس ذلك، حيث يقع بعض المسلمين في **مشكلات** بسبب الجهل واتّباع أهل الأهواء، فتُطبع حالُهم بأوصاف سلبية، من أهمها في موضوعنا: نشوء كثير منهم في بيئات تلك الفِرق المشهورة، فالطرق الصوفية تفتخر بعدد المبايعين لزعمائها، ومنهم مَن يتأثر بقيادات علمية تتبنى المذاهب الكلامية، ومنهم مَن هو في فلَك تياراتٍ جديدة تحت تأثير الحضارة الغربية.

كما أنهم أكثر انقيادًا لرؤوسهم ورموزهم، وهو حال العامة عادةً في اتّباع الآباء والمشهورين والمعظمين بحقٍّ أو باطل، فعندهم طواعية لرؤوسهم، كما أنهم فيما أخذوه عن مشاهيرهم في غاية التعصب له والتصلب فيه، فالتقليد فيهم قيمة راسخة، والتقاليد ثابتة، فثباتهم على ما ألِفوه كبير، بخلاف الطبقات المتعلمة التي تتصف بمرونة في التحول والتغير، وربما أكثر اتباعًا لقناعاتها أو لِما عليه دليل من العامة الذين لا يركزون على الدليل وما يُقنع من الطرح، فما ألِفوه من العوائد يتصلبون عليه ويتعصبون له.

وهناك جانب نفسيٌّ يرتبط بحال الأتباع المقلدين، فالواحد منهم من جهة يثق في إمامه وقدوته، كما أنه لا يقبل أنْ ينتَقِدَ أحد إمامه أو ينتقصه أو يتهمه، فلو قام مصلح بانتقاد ما هم عليه أو انتقاصه، فسيلجأ العامي مباشرة إلى الدفاع عن حاله بذكر إمامه ومَن يقلّده، فإن انتُقِص هذا الإمام استثار تعصُّب التابع، وهنا نصٌّ ثمين لأبي حامد الغزالي – رحمه الله – يقول فيه: (وأما العاميُّ إذا صُرف عن الحقّ بنوع جدل يمكن أنْ يردَّ إليه بمثله قبل أنْ يشتد التعصب للأهواء؛ فإذا اشتد تعصُّبهم وقع

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

اليأس منهم؛ إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من آفاتِ علماء السوء؛ فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظُرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة –لا في معرض التعصُّب والتحقير– لنجَحوا فيه، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم، اتخذوا التعصب عادتَهم وآلتَهم، وسمّوه ذبًّا عن الدين ونضالًا عن المسلمين، وفيه على التحقيق هلاكُ الخلق ورسوخُ البدعة في النفوس)[٦٠].

ونخلص من **الحالين**: حالة الخيرية، وحالة الضعف؛ إلى أنَّ حال العامة ممَّن يتبعون الفِرَق أنهم يؤدون فرائض الإسلام، ويُقيمون شعائره، ويعرفون الحلال والحرام، بل وإنَّ منهم مَن يُعلن بلسانه انتسابَه لهذه الفرق، بينما حالُه هو حالُ أهل السُّنة في الجملة؛ وهذا ظاهر في أتباع الفرق الداخلة في حديث الافتراق الذين جاء وصفهم أنهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا ينطبق ذلك على المسخ الذي جاء مع الفرق الغالية ممن أضلوا أتباعهم حتى ضاع الإسلام معهم من أمثال الباطنية.

فإذا كان حالُهم مجموعَ ما سبق بيانُه **فالقاعدة العامة** التي ينبغي أنْ يُنطلَق منها: أنَّ العلاقة بين المسلمين تقوم كما سبق على **الأخوة**، وهي تتعاظم عندما تكون متصلة بعامة المسلمين، وذلك أنهم لضَعفهم أوْلى بواجبات الأخوة؛ ومن ثَمَّ كان **الواجب مع العامة** غيرَ الواجب مع النُّظار والقادة، فعامة المسلمين ينبغي أنْ يُنبَّهوا بأسلوب حكيم بخطورة هذه البدع والانحرافات الفكرية دون الحديث عن ذواتهم، فنُظهِر محبتنا لهم والشفقة عليهم والحرص على ما ينفعهم، وذلك عبر بوابة عظيمة هي بوابة **الإحسان**.

فمَن يذهب إليهم لا يكُن همُّه فضحَهم ونقدُهم وبيان باطلهم والشماتة بهم، وإنما غرسُ الحق في قلوبهم وتربيتهم عليه بالتدرج وتزكيتهم: تصفية وتحلية؛ حتى ينجح الحقُّ في إزالة الباطل، وينجح الإحسان في تقبُّلهم للحق. ويكون ذلك بمشاريع الإصلاح لهم، بحيث تتميز هذه المشاريع بثلاثة أمور: موقظة ومنيرة وقائدة؛ فتكون موقِظة لهم من غفلتهم، وتكون مُنيرة لهم، فيرون الطريق واضحًا بعد الاستيقاظ من غفلتهم، ولكنَّ العامة لن تسير فيه إلا بقائد، فيكون في المشروع قائد للسُّنة، عبر قدواتٍ حية بينهم، تجمع بين الإحسان لهم وبين أخذِهم إلى البدائل الواجبة، فيخرجون من البدعة للسُّنة ومن المذاهب المنحرفة للمذهب الحق.

---

(٦٠) إحياء علوم الدين، ١/٤٠.

وبهذا، تتحقق وسطية الإسلام مع أهل القِبلة، فما وقع منهم من ذنوبٍ أو بدع لا تُخرجهم عن أهل القِبلة والإيمان، ومن خلال الإحسان يمكن معالجتُها، فعقيدة الولاء بين المسلمين هي الأصل، وأقلها عظيم فكيف بأعلاها!، فتُعصم بذلك دائرة الإخوة التي جاء فيها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾[الحشر: ١٠].

وقد وقع من بعض طلبة العلم التسرعُ في التعامل مع جمهور المسلمين، فلا يُفرّقون بين أصناف الناس، ويتكلمون بكلام واحد لكلِّ الأصناف، وهذا يخالف مبدأ التزكية، قال الشاطبي رحمه الله: (ومن هذا يُعلم أنه ليس كلُّ ما يُعلم ممّا هو حقٌّ يُطلَب نشْرُه وإنْ كان من علم الشريعة وممّا يفيد علمًا بالأحكام، بل ذلك ينقسم؛ فمنه ما هو مطلوبُ النشر، وهو غالبُ علم الشريعة، ومنه ما لا يُطلَب نشْرُه بإطلاق، أو لا يُطلَب نشرُه بالنسبة إلى حالٍ أو وقتٍ أو شخص. **ومن ذلك** تعيين هذه الفِرق؛ فإنه وإنْ كان حقًّا فقد يثير فتنة، كما تبين تقريره؛ فيكون من تلك الجهة ممنوعًا بثُّه. ومن ذلك علم المتشابهات والكلام فيها؛ فإنَّ الله ذمَّ مَن اتبعها، فإذا ذُكرتْ وعُرضَت للكلام فيها، فربما أدّى ذلك إلى ما هو مُستغنى عنه...)[٦١].

ثم بعد فقراتٍ، ختم كلامه بضابط لذلك فقال: (وضابطُه أنك تَعرِض مسألتَك على الشريعة، فإنْ صحَّت في ميزانها، فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإنْ لم يؤدِّ ذِكرُها إلى مفسدة، فاعرِضْها في ذهنك على العقول، فإنْ قبلتْها، فلك أنْ تتكلم فيها؛ إمّا على العموم إنْ كانت مما تقبلها العقولُ على العموم، وإمّا على الخصوص إنْ كانت غير لائقة بالعموم، وإنْ لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوتُ عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية)[٦٢].

وهذا الواجبُ العظيم لعامة المسلمين أمانةٌ بين أيدي **العلماء** والدعاة والمصلحين، وهذه الأمانة توجب الرعاية والخدمة وبحْثَ أحسنِ الطرق لعلاج هذه الأمراض. ونعلم أنَّ أيسر الأمور أنْ يقوم الناصحُ بتجريم هؤلاء ونقدهم والتحذير من أخطائهم، فهو العمل السهل، ولكنه لن يحقق المطلوبَ، وإنما الواجب هو البحثُ عن أفضل الأساليب في انتشالهم ممّا هم فيه من مخالَفات، وتحبيبهم للسُّنة وتحبيب السُّنة لهم، ويمكن أنْ يكون ذلك عبر ثلاث خطوات، وهي: الإحسان، والتزكية، والنصيحة والتنبيه.

المطلب الثاني: المواقف من الأتباع: (الإحسان، والتزكية، والنصيحة والتنبيه).

(٦١) الموافقات، ٥/١٦٧- ١٦٨.

(٦٢) المرجع السابق، ٥/١٧٢، ويُنظَر: فقه الرد على المخالف، د. خالد السبت، ص٧٧-٨٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، العدد(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

في ضوء ما سبق، يمكن أنْ تُحدَّد مجموعة مواقف من العامة، بحيث تحقق لنا الجمع بين مقصد تحقيق الأخوة، ومقصد تحقيق الإصلاح؛ وبما يتناسب مع عامة المسلمين ممَّن يرتبطون بهذه الفرق أو المذاهب المخالِفة، ويمكن إعادتها إلى ثلاثة مواقف، وهي: الإحسان، والتزكية، النصيحة والتنبيه.

فإذا كانت المناظرة هي الأنفع مع القادة، فإنَّ الإحسان هو الأنفع مع الأتباع، فالإحسان هو بوابة الموقف العملي معهم، ومن الإحسان إليهم يأتي الموقف الثاني وهو الحرصُ على تزكيتهم، ولا يعني ذلك إغفال تنبيههم لخطر ما هُم عليه، ويكون ذلك بالنصيحة والتنبيه.

أولًا: الإحسان:

مفتاح العلاقة مع أتباع الفِرق من العامة يمرُّ عبر بوابة الإحسان، والإحسان بحسب الكفوي: (فِعْل ما ينفع غيرَه بحيث يصير الغير حسنًا به، كإطعام الجائع؛ أو يصير الفاعل به حسنًا بنفسه؛ فعلى الأول الهمزة في أحسن للتعدية، وعلى الثاني للصيرورة يقال: "أحسنَ الرجل" إذا صار حسنًا أو دخل في شيء حسَنٍ)(٦٣)، وإلى حقيقة الإحسان (ترجع أصول وفروع وآداب المعاشرة كلّها في المعاملة والصّحبة)(٦٤).

ونصوص الكتاب والسُّنة الواردة في الإحسان تُبيّن (بجلاء أنّ الإحسان يشكّل مع العدل- جوهر العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وأنّ دائرة هذا الإحسان تتّسع لتشمل النّفس والأسرة والأقارب ثمّ المجتمع والإنسانيّة عامّة)(٦٥).

وقد جمع نبينا -صلى الله عليه وسلم- هذه المعاني فقال: (إنّ الله كتب الإحسان على كلّ شيء)(٦٦)، فالإحسان في الإسلام قيمة مُطلَقة، فقد كتب الله الإحسان على كل شيء، وعامة المسلمين هم أولى الناس بهذا الإحسان، فيكون معهم أعلى درجات الرحمة والإحسان، وإذا كان التوجيه الرباني بالإحسان في مجادلة أهل الكتاب ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فمِن باب أوْلى بالمسلمين.

وقد قال الشاعر(٦٧):

---

(٦٣) الكليات، ص٥٣.

(٦٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤/٢٥٥-٢٥٦.

(٦٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة مؤلفين، ٢/٧٣.

(٦٦) مسلم، رقم (١٩٥٥)، من حديث شدّاد بن أوس رضي الله عنه.

(٦٧) أبو الفتح البستي رحمه الله (٤٠١هـ)، علي بن محمد بن الحسين البستي، أبو الفتح: شاعر عصره وكاتبه. ولد في بست (قرب سجستان) وإليها نسبته. وكان من

أحسِنْ إلى النّاس تستعبِد قلوبَهم ... فطالما استعبَد الإنسانَ إحسانُ

ومن مداخل الإحسان المهمة مدخلُ الرحمة بالخلق، وعوام المسلمين هم أحوجُ الناس لها، فهي بابُ الإحسان إليهم، ففي الحديث الصحيح: (مَن لا يرحم الناسَ لا يرحمُه الله)(٦٨)، قال ابنُ حجَر رحمه الله: (وعند أبي داود والترمذي والحاكم بلفظ: ارحَموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء)، ونقل عن ابن بطال رحمه الله: (فيه الحضُّ على استعمال الرحمة لجميع الخلق؛ فيدخل المؤمنُ والكافرُ والبهائمُ، المملوكُ منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسَّقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب)(٦٩).

كما أنَّ العلاقة بين الإحسان وحُسن خلْق علاقة متينة، فلن يُحقق المصلح إصلاحه دون حُسن الخلق، ولن يتمَّ الإحسان إلا بمحاسن الأخلاق، ومما يبيّن أهميته ودرجته العالية ما جاء من النصوص في فضله وأهميته، فقد أعلى الإسلامُ من شأنِه، ورتَّب عليه الأجورَ العظيمة، وربط بينه وبين الدعوة والإصلاح، فقد وصف الله –تعالى– رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى، فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وجاء الأمر مع أنبياء آخرين، كما جاء مع موسى وهارون –عليهما السلام– وهما يذهبان لطاغية زمانهما، بأن يلينا معه، فقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤]؛ وهذا الواجب قائم مع ورثة الأنبياء بأنْ يسلكوا مسلكَ الأنبياء في التعامل مع الناس، فيكون الإحسانُ إليهم عبر بوابة محاسن الأخلاق.

وقد جاء في السُّنة بيانُ منزلة حُسن الخلق، وبيان أنه الأثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة، وأنه –مع التقوى– من أكثر ما يُدخل الناس الجنة، وأنَّ صاحب حُسن الخُلق يدرك بذلك درجة الصائم القائم، وأنه أحبُّ الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأقربُ مجلسًا منه يوم القيامة، وضمن له الرسول بيتًا في أعلى الجنة. وفي المقابل، جاء التحذير الشديد من سوء الخلق، فالله يبغض صاحبه، ويبغضهم رسوله صلى الله عليه وسلم(٧٠).

كتاب الدولة السامانية في خراسان، وارتفعتْ مكانته عند الأمير سبكتكين، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: "زيادة المرء في دنياه نقصان"، الأعلام للزركلي، ٣٢٦/٤.

(٦٨) البخاري، رقم (٧٣٧٦)، ومسلم، رقم (٢٣١٩)، من حديث جرير رضي الله عنه.

(٦٩) فتح الباري، ٤٤٠/١٠.

(٧٠) يُنظَر: مجموع هذه الأحاديث: جامع الأصول لابن الأثير، ٣/٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

وبما أنَّ غالب التعامل يبدأ من القول، فاللغة هي وسيلة التواصل الإنساني، والمصلحون هم أوْلى الناس عنايةً بقولهم، وبخاصة عندما يكون معنيًّا بمناقشة الأخطاء والانحرافات التي يقع فيها الناسُ، ولأهمية القول جاء تقييدُه بالحُسن أو جعله الأحسن، قال تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ [البقرة: ٨٣]، قال القرطبي رحمه الله: (فينبغي للإنسان أنْ يكون قوله للناس لينًا ووجهُه منبسطًا طلقًا مع البَرّ والفاجر، والسُّنّي والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أنْ يتكلم معه بكلام يظنُّ أنه يُرضي مذهبه؛ لأنَّ الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ [طه: ٤٤]. فالقائلُ ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجرُ ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه. وقال طلحة بن عمر: قلتُ لعطاء: إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل فيَّ حِدة، فأقول لهم بعضَ القول الغليظ؛ فقال: لا تفعل، يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي؟!. ورُوي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال لعائشة: "لا تكوني فحاشة؛ فإنَّ الفُحش لو كان رجلًا لكان رجلَ سوء...")[٧١].

وفي أهمية إحسان القول أيضًا قوله تعالى:﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [الإسراء: ٥٣]، قال ابن عاشور رحمه الله: (والمقصد الأهم من هذا التأديب تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضًا بحُسن المعاملة وإلانَةِ القول؛ لأنَّ القول ينمُّ عن المقاصد، بقرينة قوله: إنَّ الشيطان ينزغ بينهم)[٧٢].

ومن صُور الإحسان أنْ تُدرأ السيئة بالحسنة؛ أيْ: أنْ تُدفَع، وقد جاء ذلك التوجيه لخاصة المؤمنين في موضعيْن من القرآن، قال تعالى: ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [الرعد: ٢٢ القصص:٥٤]، قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير آية الرعد: (ويدفعون إساءة مَن أساء إليهم من الناس، بالإحسان إليهم)[٧٣]، فهنا بيانٌ لأثر الإحسان على مَن أساء إلينا، فكيف بغيره!، ومن الآيات الجامعة لهذا الباب قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٤].

---

(٧١) الجامع لأحكام القرآن، ١٦/٢؛ والحديث أصله في مسلم، رقم (٢١٦٥) بلفظ: (يا عائشة «لا تكوني فاحشة» فقالت: ما سمعت ما قالوا؟ فقال: "أوليس قد رددت عليهم الذي قالوا، قلت: وعليكم")، وأما الرواية التي ذكرها الإمام القرطبي فقد حسنها الشيخ الإلباني في السلسلة برقم (٥٣٧)، ٧٣/٢؛ وذكر أنها عند العقيلي في الضعفاء (٢٥٩).

(٧٢) التحرير والتنوير، ١٣٢/١٥.

(٧٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٦/ ٤٢٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

فقاعدة الإحسان هنا تعني أنْ يقوم التعامل مع العامة ممَّن يتبعون الفِرَق على الأحسن، وهو اختيار أحسن الأساليب في تنبيههم، ولا يكون ذلك قولًا فقط، بل لو جاء منهم ما هو مسيءٌ للداعية والعالِم والمصلح، فعليه أنْ يدفع ذلك بالتي هي أحسنُ، وأنْ يطبع أعماله وأقواله معهم بالرحمة وحُسن الخلق.

ولا ينبغي ربط هذا التعامل بقصد تغيير حالهم فقط، بل هو إحسانٌ دون شرط، ولا يتغير بحال، سواء قبلوا النصيحة أو لم يقبَلوها؛ لأنَّ الإحسان يأتي هكذا، يبذل للجميع، ولعامة المسلمين بشكل أخصّ، وهنا تظهر حقيقة تمثل الداعية للإحسان، أمّا الثمرة فستأتي ولو بعد حين.

ومما يقع فيه بعضُ الناس عند تعامُله مع عوام المسلمين ممَّن يتَّبِعون الفِرق أو المذاهب: أنْ يقول فيهم القول الغليظ، ويتعامل معهم بشدة؛ وهذا الأسلوبُ ضررُه أكثرُ من نفعه، مع مخالفته لحقيقة الإحسان. وإنَّما الواجب أنْ يحرصَ الداعية في إزالة البدع والمخالفات بأحسن ما يكون، فيكسي دعوتَه أحسن لباس، حتى تؤتي ثمارها.

ثانيًا: التزكية.

من أهم صور الإحسان إلى عامَّة أهل الفِرق القيام بمهمة التزكية، والمقصود هنا أنَّ عامة الناس لا يذهب ما في نفوسهم من المخالفات بكلمة زاجرة لِما هم عليه، وإنما هم بحاجة لمن يسير معهم بحكمة وصبر، فيكون كالطبيب الذي يُحدّد المرض، ثم يضع العلاج، ومدته وكمياته، لكي يرفع المرضَ، ومن صُور ذلك: مزاحمة الباطل الذي ألِفوه بالحق، وهذا لن يكونُ إلا بالتزكية.

تأتي التزكية في اللغة بمعنييْن: التطهير والزيادة(٧٤)، فإذا استعملناها في مهمة الإصلاح، فإنها تشمل أمريْن مهمييْن: التخلية والتحلية، وذلك بسلوك الطريق المناسب مع النفس والغير من أجل إزالة المخالفات وتطهير القلب منها، وهذه هي التخلية، ولكن لا يصلح ترْك المكان فارغًا، بل يُتبِعه بالسُّنة، فيبني المعتقدَ السليم مكان البدع المزالة، قال ابن عثيمين رحمه الله: (فالترتيب السليم أنْ يبدأ أولًا بالتطهر، ثم بعد ذلك يبنى عليه، ولهذا من العبارات المعروفة عند العلماء: «التخلية قبل التحلية»، أيْ: يُخلى المكانُ من الأذى، ثم يُحلّى بعد ذلك)(٧٥)، وهذه هي التزكية المطلوبة.

---

(٧٤) يُنظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٧/٣.

(٧٥) الشرح الممتع على زاد المستقنعٍ، ٩١/٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

وجاء في القرآن الكريم الامتنانُ من ربِّ العالمين على هذه الأمة بأنْ أرسل لهم مَن يُزكيهم، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، **وقال تعالى:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢].

قال ابن تيمية رحمه الله: (والزكاة في اللغة: النماء والزيادة في الصلاح. يقال: زكا الشيء إذا نما في الصلاح، فالقلب يحتاج أنْ يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح كما يحتاج البدن أنْ يُربى بالأغذية المصلِحة له، ولا بد مع ذلك من منع ما يضرُّه؛ فلا ينمو البدن إلا بإعطاء ما ينفعه ومنع ما يضره، كذلك القلب لا يزكو فينمو ويتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه ودفع ما يضرُّه، وكذلك الزرع لا يزكو إلا بهذا)(٧٦).

وهذه التزكية هي أوجبُ ما تكون من ورثة الأنبياء لعامة الخلق، وهي لعامة المسلمين أوجب، فيأخذون بهم برفق وعِلم وصبر وحِلم خطوة خطوة، ويتدرَّجون بهم من حال إلى حال، فليسَت المسألة تأليفَ كتاب أو إعلان فتوى أو توبيخ قوم ولومهم، بل هي عمل طويل في الإصلاح، وهو حال النبي -صلى الله عليه وسلم- في العهد المكيِّ وفي العهد المدنيّ، فهو كل يوم مع أصحابه يعلِّمهم ويزكّيهم، وهذا ما ينبغي لورثة الأنبياء مع الناس، فإزالة ما علِقَ بالناس من البِدع والانحرافات بحاجة لعمل حكيم وصبر كبير، قال تعالى﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال الإمام الطبري رحمه الله في معنى "الربانيين": (وأوْلى الأقوال عندي بالصواب في الربّانيّين أنهم جمْعُ ربانيّ، وأنَّ الرباني المنسوب إلى الرّبّان، الذي يَرُبُّ الناس، وهو الذي يُصلِح أمورَهم، ويَرُبُّها، ويقوم بها)(٧٧)، ثم قال: (وكان العالِم بالفقه والحكمة من المصلحين، يربُّ أمور الناس، بتعليمه إياهم الخير، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيم التقي لله، والوالي الذي يلي أمورَ الناس، على المنهاج الذي وليَه المقسِطون من المصلحين أمور الخلْق، بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجِلهم وآجِلهم، وعائدة النفع عليهم في دينهم ودنياهم، كانوا جميعًا يستحقون أنْ يكونوا ممَّن دخل في قوله عز وجل: "ولكن كونوا ربانيين". فالربانيون إذَنْ هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا؛ ولذلك قال مجاهد: "وهم فوقَ الأحبار"؛ لأنَّ الأحبار هم العلماء، والرباني الجامع

(٧٦) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٩٦.

(٧٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٤٣/٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

إلى العلم والفقه البصرَ بالسياسة والتدبير، والقيام بأمور الرعية، وما يُصلحهم في دنياهم ودينهم)[٧٨]، وقال السعدي رحمه الله: (أيْ: ولكن يأمرهم بأنْ يكونوا ربانيين، أيْ: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل)[٧٩].

ومن فقه العمل التزكوي أنْ لا يأتيهم من الأبواب التي تفتح عليهم المشاكل حتى ولو كانت من مسائل الدين، فمعلوم أنَّ مسائل الدين منها ما هو واجب بيّن مُحكم، ومنها ما هو من الأمور المشتبهة أو التي فيها نزاع من دقيق المسائل، فلا يأتِ بما يورث الشك أو يوقعهم في الفرقة وهم لا يستطيعون فهمه، قال ابنُ تيمية رحمه الله: (والواجب أمر العامة بالجُمل الثابتة بالنصِّ والإجماع ومنعهم من الخوض في التفصيل الذي يوقع بينهم الفرقة والاختلاف؛ فإنَّ الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله)[٨٠].

فمبدأ التزكية هنا يقوم على التوجه لأتباع الفرق والمذاهب وعامتهم بطريق تربوي خاصٍّ، بحيث تُحصَر البدع أو الانحرافات التي هم عالقون فيها، وليس كل ما يوجد في الفرقة أو المذهب؛ لأنَّ الكثير مما يُنسَب لهم لا يعرفه عامتهم، لهذا كان الواجب النظر فيما هو موجود فقط، ثم وضع الطرق المناسبة لإزالتها من قلوبهم، مستعينًا في ذلك بما سبق في باب الإحسان، ويدخل أثناء ذلك عناصر التحلية، ببيان منزلة السُّنة، وما فيها من آثار على القلب والبدن، وآثار في الدنيا والآخرة، فيختار أحسنَ الطرق التي تحبِّبهم في السُّنة وتُصرِفُهم عن البدعة، ثم يُلقّنهم السنن سُنَّة سُنَّة، ويتابعهم عليها حتى تتمكن من قلوبهم وجوارحهم، قال ابن تيمية رحمه الله كلامًا مهمًّا حول هذا الباب: (فلا بد من هذه الثلاثة: العِلم؛ والرفق؛ والصبر. العلم قبل الأمر والنهي؛ والرفق معه؛ والصبر بعده. وإنْ كان كلٌّ من الثلاثة مستصحبًا في هذه الأحوال؛ وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه

---

(٧٨) المرجع السابق، ٥٤٤/٦.

(٧٩) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٣٦.

(٨٠) مجموع الفتاوى، ٢٣٧/١٢؛ ومع أن بعض الانحرافات لابد فيها من مناقشة بعض الموضوعات الشائكة، فعليه الاجتهاد أن يكون ذلك بأوضح الطرق وأيسرها، حتى لا يكون ذلك فتنة للعامي، مسترشدًا في ذلك بفقه الصحابة رضي الله عنهم، كما قال علي رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله" (البخاري، رقم:١٢٧)، وقول ابن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" (مسلم، رقم: ١٤)؛ قال ابن حجر رحمه الله: "قوله: بما يعرفون، أي: يفهمون، وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له عن عبد الله بن داود عن معروف في آخره: ودعوا ما ينكرون، أي يشتبه عليهم فهمه، ... وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يُذكر عند العامة ومثله قول بن مسعود: ما أنت محدثًا قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" (فتح الباري، ابن حجر، ١/ ٢٢٥)، وقد يسأل سائل: فما الموقف؟ هل يكتم الحق، -وفي كتمانه تحذيرات كبيرة-؟ فالجواب: أن يجتهد العلماء في تصحيح حياة الناس، وبثِّ العلم النافع الذي يرفع عنهم أسباب اللبس، ثم يذكر الحق لهم بعد أمن الفتنة عليهم، (ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، العثيمين، ١٩٢/٢-١٩٣، ط٢، ابن الجوزي، السعودية، ، ١٤٢٤هـ).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

مرفوعًا؛ ذكرَه القاضي أبو يعلى في المعتمد: "لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا مَن كان فقيهًا فيما يأمر به؛ فقيهًا فيما ينهى عنه؛ رفيقًا فيما يأمر به؛ رفيقًا فيما ينهى عنه؛ حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه")[٨١].

ثالثًا: النصيحة والتنبيه.

ومما يُتمّم الإحسانَ القيامُ بحقِّ النصيحة لعامة المسلمين وتنبيههم[٨٢]، والخطاب القرآني يحفل بتنبيه المسلم من المضلين وأصحاب الأهواء وكذا السُّنة النبوية، وكان السلف تبعًا لذلك يُحذّرون الناس من هذه الأهواء والبدع نصيحةً لهم. والتنبيه يتفق مع قيمة فطرية في كل إنسان، فإنَّ المسلم إذا علم الحقَّ وعَلِم ما يقابله من أخطار، وكان حوله أشخاصٌ يحبهم ويحبونه، وعلم أنَّ فيهم مَن ابتعَد عن الحق أو وقع في الخطر، فإنه ينشط أيَّما نشاط لتنبيههم وتحذيرهم.

والتنبيه وإنْ كان عامًّا لكل أحد، إلا أنَّ العامِّي الصادق والمخلص والحريص هو أوْلى بالمساعدة، بخلاف القادر؛ ومع أنَّ الإسلام يوجب المسؤولية على كل أحد، فالأصل أنْ يستخدم عقله ويُطلِق إرادته فيما يجب دون الاعتماد على التقليد، ولكن مَن ضَعُف عن ذلك فيجب مساعدته، ومن ذلك تنبيهه للمخاطر وتحذيره منها.

وإذا كان التنبيه من أبواب النصيحة المحمودة؛ فإنَّ النصيحة هنا ليست فضيحة للمنصوح أو إغضابًا له، وإنما هي بذل الخير للمنصوح في أحسن قالب، وقد جاء من حديث تميم الداري –رضي الله عنه– أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٨٣].

ويعود كلام العلماء الماضين والمعاصرين في معنى نصيحة العامة إلى معانٍ متقاربة، ويمكن إرجاعها لأمريْن:

الأول: وهو يتعلق بطريقة النصيحة وقالبها؛ وذلك بالتلطف معهم والرفق بهم والشفقة عليهم.

الثاني: حول محتواها وهو بالامتثال للحديث الشريف «لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه» حيث كرره أغلب الشراح[٨٤].

---

(٨١) المرجع السابق، ١٣٧/٢٨.

(٨٢) أخذت هذا المعنى من كتاب الإمام الأصبهاني "التوبيخ والتنبيه"، وقد أتى فيه بأبوابٍ شريفة بدأها بباب: ذِكر ما يلزم المسلم لأخيه المسلم من النصيحة والشفقة عليه.

(٨٣) صحيح مسلم، رقم (٩٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٨٤) البخاري، رقم (١٣)؛ مسلم، رقم (٤٥)، من حديث أنس رضي الله عنه، وفي المسند جاءت الرواية مطلقة لكل الناس: "لا يؤمن أحدكم حتى يحبُّ للناس ما يحب لنفسه»، رقمه (١٣٨٧٥)، وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ٣٥٣/٢١.

وهذه أقوال مختارة لأهل العلم تؤكد ما سبق، قال **النووي** رحمه الله: (وأمّا نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر: فإرشادُهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكفّ الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستْر عوراتهم وسدّ خلاتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، .... وأنْ يحبَّ لهم ما يحبُّ لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه ....)[٨٥]؛ وقال **ابن رجب** رحمه الله: (ومن أنواع نصحهم بدفع الأذى والمكروه عنهم: إيثار فقيرهم وتعليم جاهلهم، وردُّ مَن زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردِّهم إلى الحق، والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...)[٨٦]؛ وقال ابن **حجر** رحمه الله: (والنصيحة لعامة المسلمين: الشفقة عليهم، والسعي فيما يعود نفعُه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكفّ وجوه الأذى عنهم، وأنْ يحبَّ لهم ما يحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه)[٨٧]. ومن المعاصرين يقول **السعدي** رحمه الله: (وأما النصيحة لعامة المسلمين: فقد وضَّحها النبيُّ صلى الله بقوله: "لا يؤمن أحدُكم حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه". وذلك بمحبة الخير لهم، وكراهة الشر والمكروه لهم، والسعي في دفْع ذلك ودفْع أسبابه، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، ونصحهم في أمور دينهم ودنياهم، وكل ما تحب أنْ يفعلوه معك من الإحسان فافعله معهم....)[٨٨]. ويقول ابن **عثيمين** رحمه الله: (**وعامتهم**؛ يعني: عامة المسلمين، وهم التابعون للأئمة)[٨٩]، ثم حدّد حدودها، فقال: (فإذا قال قائل: ما هو ميزان النصيحة للأمة؟ فالميزان هو ما أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام؛ بقوله: "لا يؤمن أحدكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه"، فإذا عاملتَ الناس هذه المعاملة؛ فهذا هو تمام النصيحة. فقبل أنْ تعامِلَ صاحبَك بنوع من المعاملة فكر؛ هل ترضى أنْ يعاملك شخصٌ بها؟ فإنْ كنتَ لا ترضى؛ فلا تعامله بها!)[٩٠].

ومع أنَّ عامة المسلمين ممَّن يعيشون في ظلِّ الفِرق بحاجة للإحسان والتزكية فإنَّ الواجب الأخلاقي يقتضي في بعض الموافق تنبيههم من بعض من يُقحمهم في البدع، ولكن ينبغي أنْ يكون الأمر عند ذِكر الأشخاص وفق المصلحة، فإذا كان غالب الظن أنَّ التنبيه بالتعيين ينفع، فليكن، وإلّا فلا يذكر الشخص، ويحمل كلام العلماء فيما فعلوه من التنبيه والتحذير أنه على مَن بانَ

(٨٥) شرح النووي على مسلم، ٣٩/٢.
(٨٦) جامع العلوم والحكم، ١/ ٢٢٣.
(٨٧) فتح الباري، ١٣٨/١.
(٨٨) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، ص٤٢.
(٨٩) شرح العقيدة الواسطية، ٣٤٢/٢.
(٩٠) المرجع السابق، ٣٤٣/٢-٣٤٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ضررُه وعَظُم خطرُه، وبين أيدينا نصّ ثمين -وإنْ طال قليلًا- للشاطبي رحمه الله، يقول فيه: (فمِن هنا لا ينبغي للراسخ في العلم أنْ يقول: هؤلاء الفِرق هم بنو فلان وبنو فلان! وإنْ كان يعرفهم بعلامتهم بحسب اجتهاده، اللهم إلّا في موطنيْن:

أحدهما: حيث نبَّه الشرع على تعيينهم كالخوارج، ..... **والثاني**: حيث تكون الفرقة تدعو إلى ضلالتها وتزيينها في قلوب العوامّ ومَن لا عِلم عنده، فإنَّ ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس، وهم من شياطين الإنس، فلابد من التصريح بأنهم من أهل البدعة والضلالة، ونِسبتهم إلى الفرق إذا قامت له الشهود على أنهم منهم.....فمثل هؤلاء لابدَّ من ذِكرهم والتشريد بهم، لأنَّ ما يعود على المسلمين من ضررهم إذا تُركوا، أعظمُ من الضرر الحاصل بذِكْرهم والتنفير عنهم إذا كان سبب ترك التعيين الخوف من التفرق والعداوة. ولا شك أنَّ التفريق بين المسلمين وبين الداعين للبدعة وحدهم -إذا أقيم- عليهم أسهلُ من التفرق بين المسلمين وبين الداعين ومَن شايَعهم واتبعهم، *وإذا تعارَض الضرران يُرتكب أخفُّهما وأسهلهما، وبعض الشر أهونُ من جميعه، كقطع اليد المتآكلة، إتلافُها أسهل من إتلاف النفس. وهذا شأنُ الشرع أبدًا: يطرح حُكم الأخفّ وقايةً من الأثقل.

فإذا فُقِد الأمران فلا ينبغي أنْ يُذكَروا ولا أنْ يُعيَّنوا إنْ وُجِدوا، لأنَّ ذلك أول مثير للشرّ وإلقاء العداوة والبغضاء، ومتى حصل باليد منهم أحد ذاكره برفق، ولم يُرِه أنه خارج من السُّنة، بل يريه أنه مخالفٌ للدليل الشرعي، وأنَّ الصواب الموافق للسُّنة كذا وكذا. فإن فعل ذلك من غير تعصُّب ولا إظهار غلبةٍ فهو أنجح وأنفع، وبهذه الطريقة دُعي الخَلْق أولًا إلى الله تعالى، حتى إذا عانَدوا وأشاعوا الخلاف وأظهَروا الفِرقة قوبلوا بحسب ذلك.

قال الغزالي في بعض كتبه: أكثرُ الجهالات إنما رسخَتْ في قلوب العوامّ بتعصُّب جماعة من جُهّال أهل الحق، أظهروا الحقَّ في معرض التحدي والإدلاء ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء، فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخَت في قلوبهم الاعتقاداتُ الباطلة، وتعذَّر على العلماء المتلطِّفين محوُها مع ظهور فسادها، حتى انتهى التعصب بطائفة إلى أن اعتقدوا أنَّ الحروف التي نطقوا بها في الحال بعد السكوت عنها طول العمر قديمة. ولولا استيلاءُ الشيطان بواسطة العناد والتعصب للأهواء، لما وُجِد مثل هذا الاعتقاد مستقرًا في قلب مجنون فضلًا عن قلب عاقل. هذا ما قال. وهو الحق الذي تشهد له العوائد الجارية، فالواجبُ تسكين الثائرة ما قدرَ على ذلك، والله أعلم)[٩١].

وقد وضح لنا الغزالي -رحمه الله- عيوبًا نفسية - تأتي من ضعف الإيمان في عدم قبول النصيحة، فلابد للناصح أنْ يكون واعيًا بها، حتى لا يستعجل التغيير ويصاب باليأس، قال رحمه الله: (... وقد آل الأمرُ في أمثالنا إلى أنّ أبغض الخلق إلينا مَن

(٩١) الاعتصام، ٢/٧٢٦-٧٣٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

ينصحنا ويعرِّفنا عيوبنا، ويكاد هذا أنْ يكون مفصحًا عن ضَعف الإيمان، فإنَّ الأخلاق السيئة حيّاتٌ وعقارب لداغة، فلو نبَّهنا منبه على أنَّ تحت ثوبنا عقربًا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بإزالة العقرب وإبعادها وقتلها، وإنما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يومًا فما دونه، ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أنْ تدوم بعد الموت أبدًا وآلافًا من السنين، ثم إنا لا نفرح بمَن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها، بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته، فنقول له: وأنت أيضًا تصنع كيْتَ وكيْتَ، وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنُصحه، ويشبه أنْ يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتْها كثرة الذنوب، وأصل كلِّ ذلك ضَعف الإيمان. فنسأل الله عزَّ وجلَّ أنْ يُلهمنا رشدَنا ويبصِّرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها، ويوفِّقنا للقيام بشُكر مَن يُطلِعنا على مساوينا بمنِّهِ وفضلِه)[٩٢].

فمبدأ النصيحة والتنبيه في هذا الباب يقوم على بذل الخير للغير، فهو يُقدِّم التنبيه في قالب الحرص والاهتمام بما يُشعِر متلقّي التنبيه بصدق الناصح وشفقته، مقتديًا بنبينا -صلى الله عليه وسلم- القائل: (مَثلي ومَثلكم كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الجنادبَ والفَراش يقعنَ فيها، وهو يذبهنَّ عنها، وأنا آخذ بحُجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي)[٩٣]؛ فلا يتفق مع قيمة الأمانة التي تَحمّلها العلماء والمصلحون والدعاة أنْ يغفلوا عن عامة المسلمين، فلا ينبهونهم ولا ينصحونهم، ولكن المهم أنْ يُسلك في ذلك الطريقُ الأحسنُ.

إنَّ التكامل بين الإحسان والتزكية والتنبيه كفيلٌ -بإذن الله- بأنْ يُخفَّف من مشاكل العامة من أتباع الفِرق، وهو طريق مقترَح لا يزعم استئصال البدع والانحرافات، ولكنه الضوء الذي ينير الطريق، وهو أفضل من البقاء دون إصلاح، والله الموفق.

---

(٩٢) إحياء علوم الدين، ٣/٦٤-٦٥.

(٩٣) مسلم، رقم (٢٢٨٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

الخاتمة:

بقي معنا في نهاية المطاف إجمال النتائج والتوصيات، وهي:

أولًا: النتائج:

١. يختلف حال أتباع الفرق والمذاهب اليوم عن حالهم في الماضي من جهة التعامل، فهم وإن كانت بدعهم هي هي، ولا يختلف حكمها اليوم عمّا مضى؛ إلا أن حال أتباعها اليوم يتسم بأوضاع تُوجب مراعاتها في بناء المواقف، وبخاصة مع وضْع العولمة الشائكة، والحضور الإسلامي الكثيف في الإعلام العالمي.

٢. يُفرَّق في قادة الفرق والمذاهب بين المؤسس والمنظّر، وبين الداعية؛ فالأول أكثر فهمًا للمحتوى، بخلاف الثاني الذي يقوم على نوع من التقليد.

٣. لا يتحقق اكتمال الفِرق والمذاهب إلا بوجود قادة وأتباع، وهناك نوع من العقد الاجتماعي الذي يربط بينهم.

٤. تعود المواقف المقترَحة مع القادة إلى ثلاثة، وهي: التحذير والرد والمناظرة.

٥. تعود المواقف المقترَحة مع الأتباع إلى ثلاثة، وهي: الإحسان والتزكية والتنبيه.

ثانيا: التوصيات:

١- وضع بحوث حول أسلوب التعامل مع أصناف محدَّدة من الفِرَق بحيث يفرق مثلًا في التعامل مع طريقة صوفية في بيئة أمية عن طريقة أخرى في بيئة حضرية، وأيضًا مع أصحاب القوميات المختلفة، فمعلوم أن للقوميات آثارها على أهلها، كالقومية الفارسية أو الكردية، فينظر للفرق التي داخل هذه القوميات، وتدرس طرق التعامل المناسبة معهم، وذلك بدراسة التاريخ الثقافي والاجتماعي والنفسي لهم، ووضْع المقترَحات المناسبة للإصلاح.

٢- وضع أدلة عملية تُناسب طلاب العلم والدعاة، توضح بخطواتٍ واضحة كيفية التعامل مع عوامّ المسلمين ممَّن علِقوا في البدع والمخالفات الشرعية، بحيث يكون منبثقًا من الإطار الثلاثي المذكور سلفًا.

٣- إخراج مؤلفات خاصة في مجال الدعوة، تعتني ببيان الأسلوب الأمثل في دعوة أتباع الفِرَق.

وفي الختام، فإني حاولتُ وضع رؤية إصلاحية ذات أساس علميٍّ شرعيٍّ في الموقف من أتباع الفِرَق، وهو جهد متواضع، فما أصبتُ فيه فأحمد الله عليه، وما أخطأتُ فيه فأستغفر الله منه، ويشفع لي حرصي على إحياء السُّنة وهداية نفسي والمسلمين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

الموقف من أتباع الفِرَق الإسلامية: دراسة في ضوء المتغيرات

The Attitude Toward the Followers of Religious Sects,

A Study in the Light of Changes

Hasan mohmmed alasmary- Associate Professor, Department of Doctrine and Contemporary Doctrines
College of Sharia and Fundamentals of Religion - King Khalid University

Abstract: This paper provides a vision of the attitude toward the followers of religious sects, derived from the approach of *Ahl al-Sunnah wa-al-Jama'a*, and takes into consideration the contemporary changes surrounding Muslims. Every sect or doctrine has three basic components: dogmatic and intellectual system, leaders, and followers.

The focuse of this study is on the leaders and the followers. This leads to three attitudes or positions regarding leaders: warning, response and debate; and three others about followers: kindness, advice and alert. This is with reference to the necessary methodological standards and ethical values. I have used to achieve two methods; description and construction. A number of outcomes have been introduced in the end of the study, considering the statues of Muslim *Ummah* which is surrounded by challenges, aiming by them to achieve reform while keeping Muslims' integrity.

Key words: sect, leaders and followers, waring, response, debate, purification, alert, advice.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

المراجع والمصادر:

- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- الإخنائية أو الرد على الإخنائي، ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم (٧٢٨هـ)، تحقيق: أحمد العنزي، دار الخراز، جدة، السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الاستغاثة في الرد على البكري، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن دجين السهلي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
- الاعْتِصَام، إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي (٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد الشقير، د سعد آل حميد، د هشام الصيني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ.
- الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي (٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٧٤هـ)، إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- التحرير والتنوير، سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر عاشور (١٣٩٣هـ)، مكتبة المدينة المنورة، دون بيانات أخرى.
- تفسير الطبري، للإمام محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبدالله التركي، عالم الكتب، الرياض، طبعة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: علي العمران، محمد عزيز شمس، إشراف بكر أبو زيد، عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٥هـ.
- التوبيخ والتنبيه، لأبي الشيخ الأصبهاني أبي محمد عبدالله بن محمد بن حيان (٣٦٩هـ)، تحقيق: أبي الأشبال حسن المندوه، مكتبة التوعية بالجيزة، ط١، ١٤٠٨هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط وآخرون، دار البيان.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي (٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، د. شمس الدين الأفغاني، الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، د. ناصر العقل، دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- الرد على المخالف من أصول الإسلام، ضمن كتاب الردود، بكر عبدالله أبو زيد، العاصمة، الرياض، طبعة ١٤١٤هـ.
- رسالة الآداب: آداب البحث والمناظرة، محي الدين عبدالحميد (١٣٩٢هـ)، دون بيانات أخرى.
- رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، أبي نصر عبيد الله بن سعيد السجزي (٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد باكريم باعبدالله، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ.
- رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، عبدالرحمن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، المنهاج القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- سؤال المنهج: في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد، د. طه عبدالرحمن، جمع وتقديم د.رضوان مرحوم، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد القزويني (٢٧٣هـ)، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- سنن أبي داوود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (٢٧٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره، عبداللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ١٤٣٠ هـ.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى (٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد شاكر وآخرون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ)، بعناية سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٢١هـ.
- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٢/ ١٤٢٨هـ.
- شرح النووي صحيح مسلم، الإمام محي الدين ابن شرف النووي (٦٧٦هـ)، الفكر، بيروت، دون بيانات أخرى.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

- شرف أصحاب الحديث، أبو بكر أحمد بن علي بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السُّنة النبوية، أنقرة.
- صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن حجاج القشيري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ضوابط التكفير عند أهل السُّنة والجماعة، د. عبدالله القرني، الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن حبنكة الميداني (١٤٢٥هـ)، القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٤هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، رقَّمه: محمد فؤاد عبدالباقي، راجعه: قصي محب الدين خطيب، الريان، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهرالبغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون بيانات أخرى.
- الفرق بين النصيحة والتعيير، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار عمار، عمان، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، د. يمنى طريف الخولي، قباء، القاهرة، طبعة ٢٠٠١.
- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبدالرحمن المحمود، الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ.
- قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د. محمد بسيس السفياني، مركز تأصيل، جدة، ط١، ١٤٣٥هـ.
- كتاب السنن الكبرى، للإمام النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن شلبي، وإشراف: شعيب الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، أبو البقاء (١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بين تيمية (٧٢٨هـ)، جمع وترتيب: عبد الرحمن قاسم، دار عالِم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مصطلح الحديث، محمد ابن عثيمين (١٤٢١هـ)، مكتبة العلم، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٤، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد(١٢)، *العدد*(٤)، ص ص ٣٣٨٤- ٣٤٣٢ (جماد الآخر ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م)

- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، أبو الحسين أحم بن فارس (٣٩٥)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ.
- مناظرة ابن عباس رضي الله عنه للخوارج وأثرها في علم الجدل والمناظرة، د. رحيم سلوم مرهون، د. أحمد صالح حسين، مجلة العلوم الإسلامية، جامعة تكريت، عدد ٢٩، السّنة السابعة.
- منهاج السُّنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د. عثمان علي حسن، إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي (٧٩٠هـ)، عناية: أبو عبيدة مشهور حسن، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ.
- موقف أهل السُّنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، د. إبراهيم عامر الرحيلي، الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٥هـ.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق أ.د. عبدالله الرحيلي، ط٢، ١٤٢٩هـ.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة، جدة، ط٤.
- نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، د. محمد الوهيبي، دار المسلم، الرياض.
- هجر المبتدع، د. بكر عبدالله أبو زيد (١٤٢٩هـ)، مكتبة السُّنة، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم- دار الشامية، جدة، السعودية، ط١، ١٤١٦هـ.